□ عُلُوُّ الهِمَّةِ في الدعوةِ إلى الله □

قال تعالى : ﴿ **ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين** ﴾ [فصلت : ٣٣]. « الدعوة إلى الله أحسن كلمة تقال في الأرض ، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة ؛ ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات ، فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ .

إن النهوض بواجب الدعوة أمر شاق ، ولكنه شأن عظيم »(١).

وهذا الحسن البصري يرصد نفسه في البصرة لبعث همم الناس ، وشرح معنى الإصلاح ، فيتلو على أهل البصرة هذه الآية ثم يقول : « هو المؤمن : أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحًا في إجابته . فهذا حبيب الله . هذا وليُّ الله » .

قال ابن القيم : « مقام الدعوة إلى الله أشرف مقامات التعبد » .

يقول ابن القيم : « فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم ، وهم خلفاء الرسل في أممهم ، والناس تبع لهم ، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه ، وضمن له حفظه وعصمته من الناس . وهكذا المبلغون عنه من أمته ، لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له ، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية ، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثًا ، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو ، ولأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس ، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم ، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه ، وهم كما قال فيهم عمر بن الخطاب ، في خطبته التي ذكرها ابن وضَّاح(٢) في

---

(١) الظلال ٣١٢١/٦ بتصرف .

(٢) في « البدع والنهي عنها » لابن وضاح ص٣ .

كتاب « الحوادث والبدع » له ، قال : « الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم ، يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، ويحيون بكتاب الله أهل العمى ، كم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه ، وضال تائهٍ قد هدوه ، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم ، يقبلونهم في سالف الدهر وإلى يومنا هذا ، فما نسيهم ربهم ، وما كان ربك نسيا . جعل قصصهم هدى وأخبر عن حسن مقالتهم . فلا تقصد عنهم ، فإنهم في منزلةٍ رفيعةٍ ، وإن أصابتهم الوضيعة » .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « إن لله عند كل بدعةٍ كِيد بها الإسلام وليًّا من أوليائه يذب عنها ، وينطق بعلاماتها ، فاغتنموا حضور تلك المواطن ، وتوكلوا على الله » .

ويكفي في هذا قول النبي ﷺ لعلي ولمعاذ أيضًا : « لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم »[1] . وقوله ﷺ : « من دعا إلى هدى فاتبع عليه ، كان له مِثْل أجر من اتبعه إلى عمله ، إلى يوم القيامة »[2] .

وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم »[3] .

وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **يأيها المدَّثِّر * قم فأنذر * وربك فكبر وثيابك فطهر** ﴾ [المدثر : ١ - ٤] .

« إنه النداء العلوي الجليل ، للأمر العظيم الثقيل .. نذارة هذه البشرية

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه مسلم والترمذي وأبو داود .

(٣) جلاء الأفهام (٢٤٩ - ٢٥٠) .

وإيقاظها ، وتخليصها من الشر في الدنيا ، ومن النار في الآخرة ، وتوجيهها إلى طريق الخلاص من قبل فوات الأوان ... وهو واجب ثقيل شاق ، حين يناط بفرد من البشر ، مهما يكن نبيا ورسولا ؛ فالبشرية من الضلال والعصيان والتمرد والعتو والعناد والإصرار والالتواء والتفصي من هذا الأمر ، بحيث تجعل من الدعوة أصعب وأثقل ما يكلفه إنسان من المهام في هذا الوجود .

إن كل أحد ، وكل شيء ، وكل قيمة ، وكل حقيقة .. صغير .. والله وحده هو الكبير .

وتتوارى الأجرام والأحجام ، والقوى والقيم ، والأحداث والأحوال ، والمعاني والأشكال ، وتنمحي في ظلال الجلال والكمال لله الواحد الكبير المتعال .

وهو توجيه للرسول ﷺ ليواجه نذارة البشرية ، ومتاعبها وأهوالها وأثقالها ، بهذا التصور ، وبهذا الشعور فيستصغر كل كيد ، وكل قوة ، وكل عقبة ، وهو يستشعر أن ربه الذي دعاه ليقوم بهذه النذارة ، هو الكبير ... ومشاق الدعوة وأهوالها في حاجة دائمة إلى استحضار هذا التصور وهذا الشعور .

وطهارة القلب والخلق والعمل .. طهارة الذات التي تحتوي الثياب ، وكل ما يلم بها أو يمسها هي الحالة المناسبة للتلقي من الملأ الأعلى ، كما أنها ألصق شيء بطبيعة هذه الرسالة ، وهي بعد هذا وذاك ضرورية لملابسة الإنذار والتبليغ ، ومزاولة الدعوة في وسط التيارات والأهواء والمداخل والدروب ، وما يصاحب هذا ويُلابسه من أدران ومقاذر وأخلاط وشوائب ، تحتاج من الداعية إلى الطهارة الكاملة كي يملك

(١) الظلال (٣٧٥٤/٦ - ٣٧٥٥) .

استنقاذ الملوثين دون أن يتلوث ، وملابسة المدنسين من غير أن يتدنس ، وهي لفتة دقيقة عميقة إلى ملابسات الرسالة والدعوة والقيام على هذا الأمر بين شتى الأوساط ، وشتى البيئات ، وشتى الظروف ، وشتى القلوب »[1].

قال تعالى : ﴿ **ولا تمنن تستكثر** ﴾ [المدثر : ٦] .

« توجيه إلى إنكار ذاته وعدم المن بما يقدمه من الجهد ، أو استكثاره واستعظامه ، سيقدم الكثير ، وسيبذل الكثير ، وسيلقى الكثير من الجهد والتضحية والعناء . ولكن ربه يريد منه ألا يظل يستعظم ما يقدمه ويستكثره ويمتن به . وهذه الدعوة لا تستقيم في نفسٍ تحس بما تبذل فيها ، فالبذل فيها من الضخامة بحيث لا تحتمله النفس إلا حين تنساه . بل حين لا تستشعره من الأصل ؛ لأنها مستغرقةٌ في الشعور بالله ، شاعرةٌ بأن كل ما يقدمه هو من فضله ومن عطاياه . فهو فضلٌ يمنحها إياه ، وعطاء يختارها له ، ويوفِّقها لِنَيله . وهو اختيار واصطفاء وتكريم يستحق الشكر لله . لا المنّ والاستكثار » .

﴿ **ولربِّك فاصبر** ﴾ [المدثر : ٧] .

« الصَّبر هو الزّاد الأصيل في هذه المعركة الشّاقّة ، معركة الدعوة إلى الله ، المعركة المزدوجة مع شهوات النفوس وأهواء القلوب ، ومع أعداء الدعوة الذين تقودهم شياطين الشهوات ، وتدفعهم شياطين الأهواء ! وهي معركة طويلة عنيفة ، لا زاد لها إلَّا الصبر الذي يُقْصَد فيه وجه الله ، ويتّجه به إليه احتسابًا عنده وحده » .

قال تعالى : ﴿ **في صحفٍ مكرَّمة مرفوعةٍ مطهرة بأيدي سفرةٍ كرامٍ بَرَرَةٍ** ﴾ [عبس : ١٣ - ١٦] .

« يُبيِّن الله عز وجل حقيقة هذه الدعوة وكرامتها ، وعظمتها ورفعتها ، واستغناءها عن كلِّ أحدٍ ، وعن كل سند ، وعنايتها فقط بمن يريدها لذاتها

---

(١) الظلال (٦/٣٧٥٤ - ٣٧٥٥) .

كائنًا ما كان وضعه ووزنه في ميدان الدنيا .

الدعوة كريمة في كل اعتبار ... كريمة في صحفها المرفوعة المطهرة .. الموكّل بها السُّفَراء من الملأ الأعلى ، ينقلونها إلى المختارين في الأرض ليبلّغوها .. وهم كذلك كرامٌ بررة ، فهي كريمةٌ في كل ما يتعلّق بها ، وما يمسّها من قريبٍ أو بعيد .

وهي عزيزة لا يُتصدَّى بها للمُعرِضين الذين يُظهرون الاستغناء عنها ، هي فقط لمن يعرف كرامتها ويطلب التَّطهر بها .

هذا هو الميزان ... ميزان الله ... الميزان الذي توزن به القيم والاعتبارات ، ويُقدّر به الناس والأوضاع .. وهذه هي كلمة الله ، الكلمة التي ينتهي إليها كلُّ قولٍ وكل حُكمٍ وكل فصلٍ » .

وقال تعالى : ﴿ **قل إني لن يُجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه مُلْتَحَدًا إلَّا بلاغًا من الله ورسالاته ..** ﴾ الآية [الجن : ٢٢ - ٢٣] .

« هذه هي القولة الرهيبة ، التي تملأ القلب بجدِّيَّة هذا الأمر ... أمر الرسالة والدعوة .. والرسول ﷺ يُؤْمَر بإعلان هذه الحقيقة الكبيرة ... إني لن يجيرني من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملجأ أو حماية ، إلا أن أُبلّغ هذا الأمر ، وأُؤدي هذه الأمانة ، فهذا هو الملجأ الوحيد ، وهذه هي الإجارة المأمونة .

يا للرهبة ! ويا للرَّوْعَة ! ويا للجدّ ! .

إنها ليست تطوُّعًا يتقدم به صاحب الدعوة . إنما هو التكليف ، التكليف الصارم الجازم ، الذي لا مفر من أدائه ، فالله من ورائه ! .

وإنها ليست اللذة الذاتية في حمل الهُدى والخير للناس . إنما هو الأمر العلوي الذي لا يمكن التَّفلُّت عنه ولا التَّردُّد فيه !.

وهكذا يتبين أمر الدعوة ويتحدَّد ... إنها تكليف وواجب ، وراءه

الهول ، ووراءه الجد ، ووراءه الكبير المتعال ! »[١] .

« إنها رهبة تُفزِع المسلم حقًّا ، تقذفها تلك التهديدات التي خاطب الله تعالى بها من يصمت ويتخارس . ويظلّ الأخرس قَلِقًا أبدًا ، محرومًا من الطُّمأنينة والسكينة الإيمانية ، فإنها مكر خالص لأصحاب اللسان الناطق بالحق ، الذين يبشِّرون الناس بالجنة وينذرونهم عذاب جهنم ، فيرثون النبي ﷺ في ذلك ، كما وصفه الله تعالى بأنه أرسله بشيرًا ونذيرًا . والدعوة إلى التوحيد أُسُّ الدعوة ولُبُّها ومُخُّها ﴿ **ولقد بعثنا في كل أُمَّةٍ رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ » .

« وكل ما أحبَّه الله ورسوله من واجبٍ أو مستحبٍّ ، من باطنٍ وظاهرٍ ، فمن الدعوة إلى الله : الأمْرُ به . وكلّ ما أبْغَضَهُ الله ورسوله ، من باطنٍ وظاهر ، فمن الدعوة إلى الله : النَّهْي عنه ... لا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى أن يفعل ما أحبّه الله ، ويترك ما أبغضه الله ، سواء كان من الأقوال أو الأعمال ، الباطنة أو الظاهرة »[٢] .

قال تعالى: ﴿**وادْعُ إلى ربِّك إنّك لعلى هُدًى مستقيم**﴾ [الحج: ٦٧].
وقال تعالى: ﴿**وادْعُ إلى ربِّك ولا تكوننَّ من المشركين**﴾ [القصص: ٨٧].

« وهذه الآيات يدخل فيها المسلمون جميعًا ؛ لأنّ الأصل في خطاب الله لرسوله ﷺ دخول أُمَّته فيه ، إلا ما استثنى ، وليس من هذا المستثنى أمْرُ الله تبارك وتعالى له بالدعوة إليه ، ومعنى ذلك أن الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية وشرّفها أن أشركها مع رسوله الكريم في وظيفة الدعوة إليه »[٣] .

---

(١) الظلال بتصرف ٦/٣٧٣٦ - ٣٧٣٧ .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/١٦٤ .
(٣) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص٢٦٩ .

وقال تعالى : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ...** ﴾ الآية [التوبة : ٧١].

قال القرطبي : « فجعل الله تعالى الأَمْرَ بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، فرقًا بين المؤمنين والمنافقين ، فدلّ على أنّ أخصّ أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورأسها الدُّعاء إلى الإسلام »[١].

قال ابن تيمية : « الدعوة إلى الله واجبة على من اتّبع النبي ﷺ ، وهم أُمَّته يدعُون إلى الله كما دعا إلى الله ، وهذا الواجب واجبٌ علىْ مجموع الأُمة ... وهو الذي يُسمِّيه العلماء فرضِ كفاية .. وكل واحدٍ من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره ، فما قام به غيره سَقَطَ عنه ، وما عجز ، لم يُطالَب به .

وأمّا ما لم يقُم به غيرُه وهو قادِرٌ عليه ، فعليه أن يقوم به ، ولهذا يجب على هذا أن يقوم بما لا يجب على ذاك . وقد تقسَّطتِ الدعوة على الأمة بحَسَب ذلك تارة ، وبحسب غيره أخرى ، فقد يدعو هذا إلى اعتقاد الواجب ، وهذا إلى عمل ظاهر واجب ، وهذا إلى عمل باطن واجب ، فتنوع الدعوة يكون في الوجوب تارة ، وفي الوقوع أُخرى »[٢] .

« فالدعوة إلى الخير – وأعلاها الدعوة إلى الله – واجبةٌ على كل مسلم بقدر استطاعته ، والشأن في المسلم : المبادرةُ إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، دون انتظارٍ إلى غيره ، فقد لا يقوم به الغير فيقع في الإثم ... ولو ترك المسلم الدعوة إلى الله تَرْكًا دائمًا ، مستمرًّا متعمِّدًا ؛ فإنه لا ينضوي تحت مفهوم قوله تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني ...** ﴾ الآية [يوسف : ١٠٨] ؛ لأن أتباع الرسول ﷺ هم الذين يدعون إلى الله » .

---

(١) تفسير القرطبي ٤/٤٧ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٥/١٦٥ – ١٦٦ .

« وقد يتوهّم الكثيرون أنهم قد أُذن لهم بالقعود ، حين قَرَّر الفقهاء أن الدعوة إلى الله فرضٌ على الكفاية ، ويختارون أنفسهم في الطائفة المتخارسة ، وليس الأمر كما فهموا ؛ فإن معنى القيام بها : حصول الشيء المأمور به في عالم الواقع ، وتطبيقه ، واتّعاظ الطائفة المأمورة فعلًا ، فإذا بقيت الطائفة المأمورة سادرة في غفلتها ، مُتَّبعة لشهوتها ، والِغَة في عصيانها ، بقي جميع المسلمين تحت هذا التكليف ، وعليهم أن يُعينوا الدعاة إلى الله ، الذين يأمرون بالمعروف ، ويزيدوا قوتهم ، ويكثّروا سوادهم ، إلى الدرجة التي يكتسبون فيها الهيبة ، والتأثير الكافي لامتناع الطائفة العاصية - من أفراد الأمة - عن عصيانها ومخالفتها للشريعة ، فإذا امتنعت فعلًا ، لزم وجودُ عددٍ من الآمرين الدُّعاة ، يُديمون حالة الامتناع هذه ، وَوَسِعَ البعض الآخر أن يسكتوا ، أمّا قبل ذلك فلا ، ومن يستطلع حالة المسلمين اليوم ، يجدْ أن الجهود المبذولة في الدعوة إلى الله ، لا زالت أقلّ من المقدار المطلوب لامتناع من يرتكب المعاصي منهم . ورأس المعاصي : الحُكم بغير ما أنزل الله ، وبآراء العقول والأهواء والأفكار المستوردة ، ومن ثمّ فإنه لا يَسَعُ المسلمَ اليومَ أن يقعد عن الدعوة إلى الله »(١) .

« وشرط الخروج من عهدة الفرض الكفائيّ : حصول الكفاية بمن يقوم به »(٢) .

« وللدعوة إلى الخير ، وأعلاها الدعوة إلى الله ، شروطٌ أولها العِلْمُ ، ولكن العلم ليس شيئًا واحدًا لا يتجزّأ ولا يتبعّض ، وإنما هو بطبيعته يتجزّأ

---

(١) المنطلق لمحمد أحمد الراشد ص٩٤ .

(٢) أصول الدعوة ٢٧٥ .

ويتبعّض ، فمن عَلِم مسألةً وجَهِل أُخرى ، فهو عالمٌ بالأُولى جاهلٌ بالثانية ، ومعنى ذلك أنه يعد من جملة العلماء بالمسألة الأُولى ، وبالتالي يتوفَّر فيه شِرط وجوب الدعوة إلى ما علم دون ما جهل .

إن الأكثرين لا زال الحزن على واقع المسلمين يستهلكهم يومًا بعد يوم ، ولم يعرفوا طريق العمل ، أو عرفوه ومنعهم الخوف من تحمُّل التضحيات ، أو منعهم الحرص على المال فانعزلوا في مساجدهم وبيوتهم يبكون الإسلام ، ويتركون الأجيال وجماهير الشباب الساذج لمن يربيها من دعاة الإلحاد والعلمانية والشيوعية والوجودية ، ولمن يجرها إلى الفساد والحياة الشهوانية والزنا والخمر والإسراف في اللهو .

وخور عزائم هؤلاء علّه يوقع أبصارهم على صيحات المخلصين على مر الأجيال من لدن عصر الصحابة ، وحثّهم على العمل للإسلام والتبشير به ، ودعوة الخلق ، وتنبيه الجموع الغافلة ، وترك العزلة والتّواري .

إنه حزن قاتل ، وتعبُّد مرجوح ، وعزلة مضيّعة ، وبدعة هادمة »[١] .

عن عامر الشعبي أن رجالًا « خرجوا من الكوفة ، ونزلوا قريبًا يتعبَّدون ، فبلغ ذلك عبد الله بن مسعود فأتاهم ، ففرحوا بمجيئه إليهم ، فقال لهم : ما حملكم على ما صنعتم ؟ قالوا : أحببْنا أن نخرج من غمار الناس نتعبّد . فقال عبد الله : لو أن الناس فعلوا مثل ما فعلتم ، فمنْ كان يقاتل العدو ؟ وما أنا ببارحٍ حتى ترجعوا »[٢] .

إنها كلمة الحق ، وعنوان الوعي ، وشارة التربية النبوية الكريمة .

---

(١) المنطلق ١/١٠٧ - ١٠٨ .
(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك ص٣٩٠ .

سيماهم في كلامهم ، مثلما هي في وجوههم .

من يقاتل العدو إذن لو اعتزل العابدون ؟!.

من يردّ كيد الصهيونية والماسونية ، والدعاية الشيوعية الإلحادية ، إذا بقي المصلون في مساجدهم لا يضمّون جهودهم إلى جهود دعاة الإسلام ؟!.

وفي سورة العصر كفاية ... سطر واحد في القرآن فيه كفاية وغنى لأصحاب المنهج الصحيح ، قال تعالى : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خُسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصَوْا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ وهي تعدل ثلث القرآن .

فكلمتان فحسب بيَّنتا وجوب الدعوة كانتا ربع ثلث القرآن .

فكل واحد في خُسرٍ ، إلا من كمّل قوته العلمية بالإيمان ، وقوته العملية بالعمل بطاعته ، فهذا كمال في نفسه ، ثم كمّل غيره بوصيته له بذلك ، وأمره إياه به ، وبملاك ذلك كله ، وهو الصبر ، فكمل نفسه بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، وكمل غيره بتعليمه إياه ذلك ، ووصيته بالصبر عليه . ولهذا قال الشافعي رحمه الله : « لو فكّر الناس في سورة العصر لكفتْهم »[(١)] .

فالله سبحانه « لم يكتفِ منهم بمعرفة الحق والصبر عليه ، حتى يوصي بعضهم بعضا ويرشده إليه ، ويحثّه عليه ، فإذا كان من عدا هؤلاء ، فهو من الخاسرين »[(٢)] .

والداعية مجاهد مهاجر :

قال تعالى : ﴿ **فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادًا كبيرًا** ﴾.

[الفرقان : ٥٢] .

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ١/٣٣ .

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ٧٣ .

قال ابن القيم : « ولا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة ، فأما جهاد الحجة فأمر به في مكة بقوله : ﴿ **فلا تطع الكافرين وجاهدهم به** ﴾ أي بالقرآن ﴿ **جهادًا كبيرًا** ﴾ ، فهذه سورة مكية ، والجهاد فيها هو التبليغ وجهاد الحجة »[١].

فالدعوة ، والأمر والنهي ، والتواصي نوع من الجهاد .

ثم الداعية بعد ذلك له أجر المهاجرين ، كما قرّر الإمام ابن تيمية في تفسير قوله تعالى : ﴿ **والذين آمنوا من بعدُ وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم** ... ﴾ الآية [الأنفال : ٧٥]. فقال : « قالت طائفة من السلف: هذا يدخل فيه مَنْ آمن وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة ، وهكذا قوله تعالى : ﴿ **ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتنوا ثم جاهدوا ثم صبروا إن ربك من بعدها لغفورٌ رحيمٌ** ﴾ ، يدخل في معناها كل من فتنه الشيطانُ عن دينه أو أوقعه في معصية ، ثم هجر السيئات ، وجاهد نفسه وغيرها من العدو ، وجاهد المنافقين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك ، وصبر على ما أصابه من قولٍ أو فعلٍ ، والله سبحانه وتعالى أعلم »[٢].

صلاة الله تعالى ومَن في السموات والأرض على معلِّم الناس الخيرَ :

عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلّون على معلّم الناس الخير »[٣].

استمرار ثواب الداعي بعد موته :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ٥٨/٢ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨٤/١٨ .

(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٣٤٣/٢ رقم (٢١٥٩) .

الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقةٍ جارية ، أو عِلْم يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[١].

للدّاعي مثل أُجور من تَبِعه :

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن دلّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله » رواه مسلم .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ».

دعاء النبي ﷺ لمبلِّغ كلامه إلى غيره :

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ بالخيف من منى فقال : « نضَّر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها ، فربّ حامل فقهٍ غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »[٢].

ومن قرأ تراجم الدعاة إلى السُّنّة ووَصْف وجوههم ، لكفاه هذا هِمّةً إلى الدعوة إلى السنة : محمد بن سيرين ... أيوب السختياني ... وكيع بن الجراح ... عبد الغني المقدسي .

ماتوا وغيِّب في التراب شخوصهم ... فالنَّشْر مسكٌ والعظام رميمُ

الثواب الجزيل لمن اهتدى على يديه شخص :

روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه ، لما أعطاه الراية يوم خيبر : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعُهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله

---

(١) رواه مسلم .

(٢) صحيح : رواه ابن ماجة ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ١/٤٥ .

فيه ، فوالله لَأَن يهدي الله بك رجلًا واحدًا ، خيرٌ لك من حمر النعم »[١].

وإليك نماذج من علو الهمّة في الدعوة إلى الله عز وجلّ :

١ - علو همة نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله عزَّ وجلّ :

وله القدح المعلى في ذلك ، قال تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا فأخذهم الطوفان وهم ظالمون** ﴾ [العنكبوت : ١٤] .

لله درّه على عظيم صبره في الدعوة ، مع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم ، « وكان كلّما انقرض جيلٌ وصَّوا منْ بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربته ومخالفته ، وكان الوالد إذا بَلَغ ولدُه وعَقِل عنه كلامَه ، وصّاه فيما بينه وبينه ألا يؤمن بنوحٍ أبدًا ما عاش ودائمًا ما بقي »[٢] .

قال تعالى : ﴿ **قال ربِّ إني دعوتُ قومي ليلًا ونهارًا * فلم يزدهم دعائي إلا فرارًا * وإني كُلّما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغْشَوْا ثيابهم وأصرُّوا واستكبروا استكبارًا * ثم إني دعوتُهم جهارًا * ثم إني أعلنتُ لهم وأسررتُ لهم إسرارًا * فقلت استغفروا ربَّكم إنه كان غفَّارًا * يُرسل السماء عليكم مدرارًا * ويُمددكم بأموالٍ وبنين ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهارًا * ما لكم لا ترجُون لله وقارًا** ﴾ [نوح : ٥ - ١٣].

قال أبو القاسم الغرناطي : « ذَكَر أولًا أنه دعاهم بالليل والنهار ، ثم ذكر أنه دعاهم جهارًا ،ثم ذكر أنه جَمَع بين الجهر والإسرار ، وهذه غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة »[٣].

---

(١) قيل المراد : خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها ، وقيل : تقتنيها وتملكها ، وكانت مما تتفاخر العرب بها . فتح الباري (٤٧٨/٧) .

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير (٧٤ ، ٧٥) .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٢٨٢/٤ .

« قال ابن عطية : الجهار : دعاؤهم في المحافل ومواضع اجتماعهم ، والإسرار دعاء كل واحد على حدته »[(١)] .

قال القرطبي : « وكل هذا من نوح عليه السلام مبالغةٌ في الدعاء ، وتلطُّف في الاستدعاء »[(٢)] .

قال الزمخشري : « قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، في الابتداء بالأهون والترقّي في الأشد فالأشد ، فافتتح بالمناصحة في السرّ ، فلمّا لم يقبلوا ، ثنّى بالمجاهرة ، فلمّا لم تُؤثِّر ، ثلّث بالجمع بين الإسرار والإعلان ، ومعنى « ثم » الدالة على تباعُد الأحوال ؛ لأن الجهر أغلظ من الإسرار ، والجمْع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما »[(٣)] .

قال القاسمي : « بَذَل نوح غاية الجهد دائمًا بلا فتورٍ ولا توانٍ ، وضاقت عليه الحِيَل في تلك المُدَد الطّوَل »[(٤)] .

كفاحٌ نبيلٌ طويل :

سلك نوح إلى آذان قومه وقلوبهم وعقولهم ، شتّى الأساليب ومتنوّعَ الوسائل ، في دأبٍ طويل ، وفي صبرٍ جميل ، وجهدٍ نبيل ، ألف سنةٍ إلّا خمسين عامًا ... ثم عاد إلى ربِّه يقدّم حسابه ، ويبثّ شكواه ، في هذا البيان المفصَّل وفي هذه اللهجة المؤثرة .

ويحتمل نوح - وهو رسولٌ من أُولي العزم - ما يحتمل في سبيل

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٢٨٢/٤ .

(٢) تفسير القرطبي ٣٠١/١٨ .

(٣) الكشاف للزمخشري ٦١٦/٤ .

(٤) محاسن التأويل (٢٩٤/٩). بتصرف .

الدعوة ؛ ما يحتمل من إعراضٍ واستكبارٍ واستهزاء ، ألف سنة إلّا خمسين عامًا .. وعَدَد المستجيبين له لا يكاد يزيد ؛ ودرجة الإعراض والإصرار على الضلال ترتفع وتزداد .

وصورة نوح في دعوته ، وهو لا يملّ ولا يفتر ولا ييأس أمام الإعراض والإصرار ، صورةٌ لإصرار الداعية على الدعوة ، وتحيُّن كل فرصةٍ ليبلّغهم إياها ، وإصرارهم هم على الضلال .. ملامح الطفولة البشرية العنيدة ، من وضع الأصابع في الآذان ، وآذانهم لا تَسَع أصابعهم كاملة ، ضمانًا لعدم تسرُّب الصوت إليها بتاتًا ، وستر الرؤوس والوجوه بالثياب ، وهي صورة غليظة للإصرار والعناد ، كما أنها صورة بدائيّة لأطفال البشرية الكبار .

« ولم ينس نوح عليه الصلاة والسلام الدعوة حتى حين حضرته الوفاة ، فقد روى الإمام أحمد ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن نوحا عليه السلام لما حضرتْه الوفاة ، دعا ابنيه فقال : إني قاصِرٌ عليكما الوصية . آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين : أنهاكما عن الشرك والكِبْر .وآمركما بلا إله إلا الله ؛ فإن السموات والأرض وما فيهما لو وُضِعتْ في كفَّة الميزان ، ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لكانت أرجح . ولو أن السموات والأرض كانتا حلقةً ، فوضعت لا إله إلا الله عليهما لفصمتْهما . وآمركما بسبحان الله وبحمده ، فإنها صلاة كل شيءٍ ، وبها يرزق كل شيءٍ »[(١)] .

لقد كانت دعوة نوح صورةً من الجهد الدائب المُلِحّ الثابت المُصرّ ، تُعرض على رسولنا ﷺ ، وهو الذي انتهت إليه أمانة دعوة الله في الأرض كلها في آخر الزمان ، واضطلع بأكبر عبءٍ كُلّفه رسول .. يرى فيها صورة

---

(١) الحرص على هداية الناس للدكتور فضل إلهي ص١٢ نشر إدارة ترجمان الإسلام باكستان .

الكفاح النبيل الطويل لأخ له من قبل ، لإقرار حقيقة الإيمان في الأرض .
ويطلع منها على عناد البشرية أمام دعوة الحق .

وتعرض على الجماعة المسلمة في مكة ، وعلى الأمة المسلمة بعامة ، وهي الوارثة لدعوة الله في الأرض ... ترى فيها صورة الكفاح والإصرار والثبات هذا المدى الطويل من أبي البشرية الثاني ، وتُري المسلمين قيمة وحقيقة دعوتهم ، وحقيقة نسبهم العريق ! وحقيقة موكبهم المتّصل من مطْلع البشرية ، وحقيقة دورهم في إقرار هذه الدعوة والقيام بها ، وهي منهج الله القويم القديم .

وإن الإنسان ليأخذه الدهش والعَجَب ، كما تغمره الروعة والخشوع ، وهو يستعرض هذا الجهد الموصول من الرسل - عليهم صلوات الله وسلامه - لهداية البشرية الضّالّة المعاندة ، ويتدبر إرادة الله المستقرة على إرسال هؤلاء الرسل ، واحدًا بعد واحدٍ لهذه البشرية المُعرِضة العنيدة .

وقد يعِنّ للإنسان أن يسأل : تُرى تُساوي الحصيلة هذا الجهد الطويل ، وتلك التضحيات النبيلة ، من لدن نوحٍ عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام ، ثم ما كان بينهما وما تلاهما من جهود المؤمنين بدعوة الله وتضحياتهم الضِّخام ، تُرى : هل تساوي هذا الجهد الذي وصفه نوحٌ عليه السلام ، وقد استغرق عمرًا طويلًا بالغَ الطول ، لم يكتفِ قومه فيه بالإعراض ، بل أتبعوه بالسخرية والاتهام ، وهو يتلقّاهما بالصبر والحسنى ، والأدب الجميل والبيان المنير ؟! .

ثم تلك الجهود الموصولة منذ ذلك التاريخ ، وتلك التضحيات النبيلة التي لم تنقطع على مدار التاريخ من رسلٍ يُستهزأ بهم ، أو يحرقون بالنار ، أو يُنشرون بالمنشار ، أو يهجرون الأهل والديار .. حتى تجيء الرسالة الأخيرة ، فيجهد فيها محمد ﷺ ذلك الجهد المشهود المعروف ، ثم

تتوالى الجهود المُضنية والتضحيات المذهلة من القائمين على دعوته في كل أرض وفي كل جيل ؟؟.

ترى تساوي الحصيلة كل هذه الجهود ، وكل هذا الجهاد الشاق المرير ؟!.

ثم تُرى هذه البشرية كلها تساوي تلك العناية الكريمة من الله ، المتجلِّية في استقرار إرادته سبحانه على إرسال الرسل تترى ، بعد العناد والإعراض والإصرار والاستكبار مِنْ هذا الخلْق الهزيل الصغير المسمى بالإنسان ؟! .

والجواب بعد التدبُّر : أن : نَعَمْ ... وبلا جدال !!

إن استقرار حقيقة الإيمان بالله في الأرض يساوي كل هذا الجهد ، وكل هذا الصبر ، وكل هذه المشقة ، وكل هذه التضحيات النبيلة المطردة من الرسل وأتباعهم الصادقين في كل جيل !

ولعلَّ استقرار هذه الحقيقة أكبر من وجود الإنسان ذاته ، بل أكبر من الأرض وما عليها ، بل أكبر من هذا الكون الهائل ، الذي لا تبلغ الأرض أن تكون فيه هباءةً ضائعة لا تكاد تُحَسَّ أو تُرى .

إن استقرار هذه الحقيقة في قلبٍ ، معناه : أن ينطوي هذا القلب على قبسٍ من آثار نور الله وعلمه ، وأنْ يكونَ مستودعًا لسرٍّ من أسرار الله ، وأن يكون أداة من أدوات قَدَره النافذ في هذا الوجود .... وهي حقيقة أكبر من الإنسان ذاته ومن أرضه وسمائه ، ومن كل هذا الكون الكبير !

كما أن استقرار حقيقة الإيمان في حياة البشر أو جماعةٍ منهم ، معناه : اتِّصال هذه الحياة الأرضية بالحياة الأبدية ، وارتفاعها إلى المستوى الذي يؤهّلها لهذا الاتصال ... معناه قُرب الفاني من الباقي وجمعيّته عليه ... وهي حصيلة تُربي على كل جهدٍ وكل تضحية ، ولو تحقَّقتْ على الأرض يومًا أو بعض يوم في عمر البشرية الطويل ؛ لأن تحقُّقها -

ولو في هذه الصورة – يرفع أمام البشرية في سائر أجيالها مشعل النور في صورة عملية واقعية ، تجاهد لتبلُغ إليها طَوَال الأجيال .

ولقد أثبت الواقع التاريخي المتكرر أن النفس البشرية لم تبلُغ إلى آفاق الكمال المقدَّر لها بأي وسيلة ، كما بلغتْها باستقرار حقيقة الإيمان بالله فيها ، وأن الحياة البشرية لم ترتفع إلى هذه الآفاق كما ارتفعت بهذه الوسيلة ، وأن الفترات التي استقرَّت فيها هذه الحقيقة في الأرض ، وتسلَّم أهلها قيادة البشرية ، كانت قمّة في تاريخ الإنسان سامقة ، بل كانت حلمًا أكبر من الخيال ، ولكنَّه متمثِّل في واقع يحياه الناس .

هذه هي الدعوة .. فما أُقِرَّت حقيقة الإيمان بالله في الأرض إلا بالدعوة ، وما قامت قلوب تنطوي على حب الله والشوق إليه والقرب منه إلا بالدعوة ، وما قامت حياةٌ إنسانية يتمثل فيها منهج الله للحياة إلا بالدعوة .

والدعوة إلى الله لا بُدّ أن تمضي في طريقها كما أراد الله ، لأن الحصيلة تستحق الجهود المضنية والتضحيات النبيلة ، ولو صغُرت فانحصرت في قلبٍ واحدٍ ، يقرُب من الله ويحبُّه ويشتاق إليه ؛ قال ﷺ : « عُرِضَت عليَّ الأُمم ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرَّهْط ، والنبي ومعه الرجُل والرجُلان ، والنبي وليس معه أحد »[1].

٢ – خليل الرحمن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام ، وعلوّ همتهما في الدعوة إلى الله :

قال تعالى : ﴿ **ووصَّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنيَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون ۞ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب**

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد عن ابن عباس .

الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٢ - ١٣٣] .

اهتمامات القلب المؤمن وشغله الشّاغل وهمُّه الأول ، هو الدعوة إلى العقيدة .. هذه هي القضية التي شغلت بالَ خليل الرحمن إبراهيم ، ووصَّى بها بنيه ، وشغلت بال حفيده يعقوب في ساعة الاحتضار وفي سكرات الموت .. أمْرٌ جَلَل يريد أن يطمئنّ عليه ويستَوْثِق منه ، ترِكة يريد أن يخلِّفها لأبنائه ، ويحرص على سلامة وصولها إليهم ... إنها الدعوة إلى العقيدة .. هي التَّرِكَة وهي الذُّخر ... وهي القضية الكبرى ، وهي الشُّغل الشاغل والأمر الجلل ، الذي لا تشغل عنه سكراتُ الموت وصرعاتُه .

قال الفخر الرازي في تفسير الآية الثانية من الآيتين : « الآية دالّةٌ على أن شفقة الأنبياء - عليهم السلام - على أولادهم كانت في باب الدين ، وهمّتهم مصروفة إليه دون غيره »[1] .

٣ - دعوة يوسف عليه السلام إلى الله تعالى وهو في السجن :

قال تعالى : ﴿ **ودخل معه السجن فَتَيانِ قال أحدُهما إني أراني أعصر خمرًا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خُبزًا تأكُل الطَّيْرُ منه نبِّئْنا بتأويله إنّا نراك من المحسنين * قال لا يأتيكما طعامٌ تُرزقانِهِ إلَّا نبّأتُكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذالكما ممّا علّمني ربي إني تركتُ ملَّة قومٍ لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون * واتّبعتُ ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكنَّ أكثر الناس لا يشكرون * يا صاحِبَي السجن أأربابٌ متفرِّقون خيرٌ أم الله الواحد القهّار * ما تعبدون من دونه إلَّا أسماءً سمَّيتُمُوها أنتم**

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ٤/٧٥ .

وآباؤكم ما أنزل الله بها من سُلطانٍ إن الحُكم إلَّا لله أمر أَلَّا تعبدوا إلَّا إياه ذلك الدِّين القيِّم ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [يوسف : ٣٦ - ٤٠].

ما أروعَ القيامَ بهذه المهمة الجليلة ، في تلك الأحوال الصعبة والظروف العسيرة ! فهو في السجن وظُلُماته ، مع الظّلْم وظلماته ، لا يغفل عن الدعوة لدينه ، ولعقيدته ، في كياسةٍ وتلطُّف ، مع الحزم ، وفي إدراكٍ لطبيعة البيئة ومداخل النفوس فيها ، كما أنه لا يغفل عن حُسن تمثيله بشخصه وأدبه وسلوكه لدينه هذا الذي يدعو إليه في سجنه .

٤ - حرص مؤمن يسٓ على إيمان قومه :

قال تعالى : **﴿ وجاء من أقصى المدينة رجلٌ يسعى قال يا قوم اتَّبعُوا المرسلين * اتَّبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون * وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه تُرجَعون * أأتَّخذ من دونه آلهةً إن يُردنِ الرحمٰنُ بضُرٍ لا تُغن عنّي شفاعتهم شيئًا ولا يُنقذون * إني إذًا لفي ضلالٍ مبين * إني آمنتُ بربِّكم فاسمعون * قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾** [يسٓ : ٢٠ - ٢٧] .

هذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعدما رأى فيها من دلائل الحق ، وحينما استشعر قلبُه حقيقة الإيمان تحرَّكت هذه الحقيقةُ في ضميره ، فلم يطق عليها سُكُوتًا ، ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال مِنْ حوله والجحود والفجور ، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره وتحرَّك في شعوره ، وجاء من أقصى المدينة يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق : **﴿ اتّبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون ﴾** .

إن الذي يدعو مثل هذه الدعوة ، وهو لا يطلب أجرًا ولا يبتغي مغنمًا .. إنه لصادق . وإلا فما الذي يحمله على هذا العناء ، إن لم يكن يلبّي تكليفًا من الله ؟! ما الذي يدفعه إلى حمل همّ الدعوة ، ومجابهة الناس

بغير ما ألفوا من العقيدة ؟! والتعرُّض لأذاهم وشرهم واستهزائهم وتنكيلهم ، وهو لا يجني من ذلك كسبًا ، ولا يطلب أجرًا .

﴿ **إني آمنت بربكم فاسمعون** ﴾ هكذا ألقى بكلمة الإيمان الواثقة المطمئنة ، وأشهدهم عليها ، وهو يُوحي إليهم أن يقولوها كما قالها .

وقتلوه ووطئوه بأرجلهم ... وادَّخر الله لهذا الشهيد الكرامة ∴.. كرامة تليق بمقام المؤمن الشجاع المخلص .

ويذكر الشهيد الداعية طيب القلب رضيّ النفس قومه ، بعدما اطَّلَع على ما آتاه الله في الجنة من المغفرة والكرامة .. وتمنَّى أن يعلم قومه مصيره ليصيروا من المؤمنين ، فما أشدّ وأعمقَ حرصه على هداية قومه : لم يتخلَّ عنهم حتى بعد قتلهم له .

« قال ابن عباس رضي الله عنهما : نصح قومه في حياته بقوله : ﴿ **يا قوم اتَّبعوا المرسلين** ﴾ ، وبعد مماته في قوله : ﴿ **يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين** ﴾ »[١] .

قال ابن كثير : « ومراده : أنهم لو اطّلعوا على ما حصل لي من النعيم المقيم والثواب العظيم ، لقادهم ذلك إلى اتّباع الرُّسُل ، فرحمه الله ورضي عنه ، كم كان حريصًا على هداية قومه »[٢] .

ما سمعنا بداعيةٍ يذعو إلى الله بعد موته إلّا مؤمن يسٓ .

٥ - علوّ هِمَّة موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله عز وجلّ :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « عُرِضتْ عليَّ الأُمم ، فرأيت النبيَّ ومعه الرَّهْط ، والنبيّ ومعه الرجُل والرجُلان ، والنبي وليس معه أحد ، إذْ رُفع لي سوادٌ عظيم ، فظننتُ أنهم

---

(١) ، (٢) مختصر تفسير ابن كثير لمحمد نسيب الرفاعي ٥٦٦/٣ طبع المكتب الإسلامي .

أمَّتي ، فقيل لي : هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأُفُق ، فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : انظر إلى الأُفق الآخر ، فإذا سواد عظيم : فقيل لي : هذه أُمّتُك .... » الحديث[١] .

وفي حديث مالك بن صعصعة في الإسراء : « ... فلمّا خلصتُ فإذا موسى قال : هذا موسى فسلِّمْ عليه ، فسلّمتُ عليه ، فردّ ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ، فلما تجاوزتُ بكي . قيل له : ما يُبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلامًا بُعث بعدي يدخل الجنة من أُمّته أكثر ممن يدخلها من أمتي »[٢] .

وفي رواية شريك عن أنس : « لم أظن أحدًا يُرفع عليَّ » .

وفي حديث أبي سعيد : « قال موسى : يزعم بنو إسرائيل أني أكْرَمُ على الله ، وهذا أكرمُ على الله مني » .

وزاد الأموي في روايته : « ولو كان هذا وحده هان عليَّ ، ولكن معه أمته ، وهم أفضل الأمم عند الله » .

هذا والله بكاء الرجال .. لم يكتف بالندم والحسرة بل بكى ، فقد كان يتمنَّى أن يكون أسبق من النبي ﷺ في كثرة الأتباع ، حتى يكون رصيده يوم القيامة أعظم رصيد ، بكى « أسفًا على ما فاته من الأجر الذي يترتَّب عليه ؛ بسبب ما وقع من أمّته مع كثرة المُخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم ، المستلزم لتنقيص أجره ؛ لأن لكل نبيٍّ مثل أجر كل من اتبعه ، ولهذا كان مَنِ اتَّبعه مِنْ أُمته في العدد ، دون من اتَّبع نبيَّنا ﷺ ، مع طُول مُدَّتهم بالنسبة لهذه الأمة »[٣] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد .

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ، باب المعراج . انظر فتح الباري ٧/ ٢٤١ - ٢٤٢ ، ٢٥١ .

(٣) فتح الباري ٧/٢٥٢ .

ولا يعني البكاء تقصير موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى ، بل هو دليلُ حرقة القلب الذي يسعى للكمال دائمًا . وإن « لموسى عليه السلام » منزلة عند ربه ، وخصوصًا في همته الدعوية ، حتى غفر الله له ما غفر بسبب همته الدعوية ، كما قرر ابن تيمية رحمه الله فيما يرويه عنه ابن قيم الجوزية قال :

« انظر إلى موسى عليه السلام ، رمى الألواح فيها كلام الله الذي كَتَبَه بيده فكَسَرَها ، وجرَّ بلحية نبيٍّ مثله ، ولَطَمَ عين مَلَك الموت ففقأها ، وعاتب ربَّه ليلة الإسراء في محمدٍ ﷺ ، وربُّه يحتمِلُ له ذلك كله ، ويُحِبُّه ويُكرِمه لأنه قام لله تلك المقامات العظيمة في مُقابلة أعْدَى عَدُوٍّ له ، وصَدَع بأمره ، وعالج أُمَّة القِبط وبني إسرائيل ، فكانت هذه الأمور كالشعرة في البحر ، وانظر إلى يونس - عليه السلام - حيث لم يكن له هذه المقامات التي لموسى ، غاضب ربَّه مرّة ، فأخَذَه وسجنه في بطن الحوت ، ولم يحتمل له ما احتمل لموسى »[1].

٦ - علو همّة نبينا ﷺ في الدعوة إلى الله :

وأعلى الهمة همّة نبينا ﷺ ... بأبي هو وأمي ﷺ ، كان حرصه أشدّ الحرص على هداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم :

قال تعالى : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ [يوسف : ١٠٣] . وقوله تعالى : ﴿ **إن تحرصْ على هداهم فإن الله لا يهدي من يضلّ وما لهم من ناصرين** ﴾ [النحل : ٣٧]. بل كاد يموت غمًّا وأسفًا عليهم ، قال تعالى : ﴿ **فلا تذهب نفسُك عليهم حسرات إن الله عليمٌ بما يصنعون** ﴾ [فاطر : ٨] ، وقال تعالى : ﴿ **فلعلَّك باخِعٌ نفسَك على آثارهم إن لم يؤمنوا**

(١) مدارج السالكين .

بهذا الحديث أسَفًا ﴾ [الكهف : ٦] ، والبخْع : قتل النفْس غمًّا ، كما قال الراغب الأصفهاني في « المفردات في غريب القرآن » .

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلي ومثلكم كمثل رجلٍ أوقد نارًا ، فجعل الجَنَادِبُ والفَرَاشُ يقعن فيها ، وهو يذُبّهنّ عنها ، وأنا آخذ بحُجَزكم عن النار ، وأنتم تَفَلتون من يدي »[١] .

لقد دعا في جميع الأماكن والأزمان والأحوال ، ودعا جميع أصناف الناس ، واستخدم جميع الأساليب المشروعة .

دعا فوق الجبل ، وفي المسجد ، وفي الطريق ، والسوق ، وفي منازل الناس في المواسم ، وحتى في المقبرة،ودعا في الحضر والسفر ، وفي الأمن والقتال ، في صحته ومرضه ، وحينما كان يزور أو يُزار .

دعا مَنْ أحبّوه ، ومن أبغضوه ، وآذوه ، ومن استمعوا إلى دعوته ومن أعرضوا عنها .

وبَعَث الرسائل والرسل إلى الملوك والرؤساء ، ممن لم يتمكّن من الذهاب إليهم بنفسه .

أ - صعوده ﷺ على الصفا للدعوة إلى الله تعالى :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ [الشعراء : ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادي : « يا بني فهر ! يا بني عدي ! » لبطون قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج ، أرسل رسولًا ينظر ما هو ، فجاء أبو لهبٍ وقريش ، فقال ﷺ : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي ، تُريد أن تُغير عليكم ، أكنتم مصدّقيّ ؟ » . قالوا : نعم ، ما جرّبنا عليك إلّا صدقًا .

---

(١) رواه مسلم .

قال : « فإني نذيرٌ لكم بين يَدَي عذابٍ شديد » . فقال أبو لهب : تبًّا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعْتَنا ؟ فنزلتْ : ﴿ **تبَّتْ يدا أبي لهبٍ وتبّ ما أغنى عنه مالُهُ وما كَسَب** ﴾[1].

ب - قيامه بالدعوة في الطريق :

وكان يدعو في الطريق أيضًا :

عن عبد الله بن عباسٍ ، أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يومًا ، فقال له الرسول ﷺ : « يا غلام ! إني مُعلِّمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فلتسأل الله ، وإذا استعنت فاستعِنْ بالله ، واعلم أن الأُمَّة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ قد كَتَبَه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك لم يضرّوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك . رُفِعت الأقلام وجفّت الصحف »[2].

وتعليمه أيضًا لمعاذٍ في الطريق :

عن معاذٍ رضي الله عنه قال : كنت رِدْفَ النبي ﷺ على حمارٍ يُقال له : عُفَير ، فقال : « يا معاذ ! هل تدري ما حقُّ الله على عباده ؟ وما حقّ العباد على الله ؟ » . قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، وحق العباد على الله أن لا يُعذب من لا يشرك به شيئًا » . فقلت : يا رسول الله، ! أفلا أُبشِّر به الناس ؟ قال : « لا تبشرهم فيتَّكِلُوا »[3].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ حديث رقم (٤٧٧٠) .

(٢) رواه أحمد في مسنده ٢٣٣/٤ . وقال الشيخ أحمد محمد شاكر : إسناده صحيح .

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار. رقم الحديث (٢٨٥٦). فتح الباري ٥٨/٦ .

جـ - قيامه بالدعوة في سوق ذي المجاز :

روى أحمد عن رجلٍ من بني مالك بن كنانة ، قال : « رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخلّلها يقول : « يا أيها الناس ، قولوا : لا إله إلا الله تُفلحوا » . قال : وأبو جهل يحثي عليه التراب ويقول : لا يغوينّكم هذا عن دينكم ، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللّات والعزّى . وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ »[1].

د - ذهابه إلى منازل الناس بمنى للدعوة :

ومن إتيانه ﷺ الناس في أماكنهم للدعوة إلى الله تعالى أنه كان يأتي منازل الناس بمنى في الموسم .

عن ربيعة بن عباد الدؤلي قال : رأيت رسول الله ﷺ بمنى في منازلهم ، قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول : « يا أيها الناس ، إنّ الله أمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا » . قال : ووراءه رجل يقول : يا أيها الناس ، إنّ هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم » . فسألت عن هذا الرجل ، قيل : أبو لهب[2] .

ولا يظنّ أحدٌ أنّ ذهابه ﷺ للدعوة إلى الله تعالى في الأسواق ومنى ، كان أمرًا نادرًا ، أو كان في موسمٍ واحد ، بل استمرَّ ﷺ على ذلك لمدة عشر سنوات .

فعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ لبث

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١/٦ كتاب المغازي والسير : باب تبليغ النبي ﷺ ما أرسل به : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ١٥/١ وصححه ووافقه الذهبي ، وقال : على شرطهما ١٤/١ .

عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ومجنّة وعكاظ ومنازلهم في منى. يقول: «من يُؤويني ؟ ومن ينصرني حتى أُبلِّغ رسالات ربي فله الجنة؟». فلا يجد أحدًا ينصره ولا يُؤويه ، حتى إنّ الرجل يرحل من مصر أو اليمن إلى ذي رَحِمِه ، فيأتيه قومه فيقولون له : احذر غلام قريش لا يفتنّنك . ويمشي ﷺ بين رجالهم يدعوهم إلى الله عز وجلّ ، ويشيرون إليه بالأصابع ، حتى بَعَثَنا الله من يثرب ، فيأتيه الرجل منّا فيؤمن به ويُقرئه القرآن ، فينقلب إلى أهله فيُسلمون بإسلامه ، حتى لم يبق دار من دُور الأنصار إلّا وفيها رَهْط من المسلمين يُظهرون الإسلام . وبعثنا الله إليه فائتمرنا واجتمعنا وقلنا : حتى متى رسول الله يُطرد في جبال مكة ويخاف ؟! حتى قدمنا عليه في الموسم ، فواعَدَنا بيعة العقبة[(١)].

هـ - رجاؤه ﷺ الهداية لأجيال مَنْ آذوه أشدّ الأذى :

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت للنبي ﷺ : « هل أتى عليك يومٌ كان أشد من يوم أُحُد ؟ قال : « لقد لقيتُ من قومك ما لقيت ، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة ؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال ، فلم يُجبني إلى ما أردت فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهي ، فلم أسْتفِق إلّا وأنا بقرن الثعالب[(٢)]، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلّتني ، فنظرتُ فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردُّوا عليك ، وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال ؛

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٦٢٤/٢ ، وصححه ووافقه الذهبي ، ورواه أحمد في المسند ، وقال ابن كثير : هذا إسناد جيد على شرط مسلم .

(٢) أي لم أفطن لنفسي وأتنبّه لحالي ، وللموضع الذي أنا ذاهبٌ إليه وفيه ، إلّا وأنا عند قرن الثعالب لكثرة همي الذي كنت فيه . « وقرن الثعالب : قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد » . شرح النووي ١٥٥/١٢ .

لتأمُره بما شئتَ فيهم . فناداني ملَكُ الجبال فسلمّ عليّ ثم قال : يا محمد . فقال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أُطبق عليهم الأخْشَبَيْن »[1]. فقال النبي ﷺ : « بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا » .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ... ينطلق مهمومًا فلا يُفيق إلا بقرن الثعالب ... أفبعد هذا حرصٌ على الناس ، وعلو همة في الدعوة ، من يفعل هذا سواه ، لقد اختلطت الدعوةُ بلحمه ودمه ، وشغلتْه عن كل شيءٍ سواه .. كيف لا وهو الخليل :

قد تخلَّلْتَ مسلَكَ الرُّوحِ منّي وبذا سُمِّيَ الخليلُ خليـلًا

تخلَّل حُبُّ مولاه مسلك الروحِ منه .. فما أشدَّ حِرْصَه على الدعوة إليه ! وما أنوره وأجمله وأبهاه ! فمن يحمل همّ الدعوة يا من تسيرون على سنته ؟! يرجو هداية أجيال قادمة لمن آذوه ، إن لم يهتدوا هم ، بدلًا من تدميرهم وهلاكهم على يد مَلَكٍ مرسَل من الله .

و - ذهابه إلى الطائف ماشيًا دعوة إلى الله ، وتحمُّله الأذى من أهلها :

عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال : مات أبو طالب ، وازداد من البلاء على رسول الله ﷺ شدة ، فعمد إلى ثقيف يرجو أن يُؤوه وينصروه ، فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف ، وهم إخوةٌ : عبد ياليل بن عمرو ، وحبيب بن عمرو ، ومسعود بن عمرو ، فعرض عليهم نَفْسَه ، وشكا إليهم البلاء وما انتهك قومه منه ، فقال أحدهم : أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيءٍ قط،وقال الآخر : والله لا أُكلّمك بعد مجلسك هذا كلمةً واحدةً أبدًا ؛ لئن كنت رسولًا ، لأنت أعظمُ شَرَفًا وحقًّا منْ أن أُكلّمك ؛ وقال الآخر : أعَجَزَ الله أن يرسل غيرك ؟ وأفشوْا ذلك في

---

(١) هما جبلا مكة : أبو قبيس والجبل الذي يقابله .

ثقيف الذي قال لهم ، واجتمعوا يستهزئون برسول الله ﷺ وقعدوا له صفَّيْن على طريقه ، فأخذوا بأيديهم الحجارة ، فجعل لا يرفع رِجْلَهِ ولا يضعها إلَّا رضخوها بالحجارة ، وهم في ذلك يستهزئون ويسخرون ، فلمّا خَلَصَ من صَفَّيْهم وقدماه تسيلان الدماء ، عَمَدَ إلى حائطٍ من كرومهم ، فأتى ظلَّ حُبْلَةٍ من الكَرْم ، فجلس في أصلها مكروبًا مُوجَعًا ، تسيل قدماه الدماء ، فإذا في الكرم عُتْبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، فلما أبصرهما كره أن يأتيهما ؛ لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله ، وبه الذي به ، فأرسلا إليه غلامهما عدّاسًا بعنب ، وهو نصرانيٌّ من أهل نينَوَى . فلمّا أتاه وضع العنب بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ : « بسم الله » . فعجب عداس ؛ فقال له رسول الله ﷺ : « من أي أرضٍ أنت يا عداس ؟ ». قال : أنا من أهل نينوى . فقال النبي ﷺ : « من أهل مدينة الرجل الصالح يونس ابن متّى ؟ » فقال له عداس : وما يُدريك من يونس بن متى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس ما عَرَف ، وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحدًا يبلّغه رسالات الله تعالى . قال : يا رسول الله ، أخبرني خبر يونس ابن متى . فلمّا أخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس بن متى ما أوحى الله إليه من شأنه ، خرَّ ساجدًا لرسول الله ﷺ ، ثم جعل يقبِّل قدميه وهما تسيلان الدماء . فلمّا أبصر عُتبةُ وأخوه شيبةُ ما فعل غلامُهما سكتا . فلما أتاهما قالا له : ما شأنُك ؛ سجدتَ لمحمدٍ وقبّلتَ قدميْه ، ولم نرك فعلتَ هذا بأحدٍ منّا ؟! قال : هذا رجل صالح ، حدَّثني عن أشياء عرفتُها من شأن رسولٍ بَعَثَه الله تعالى إلينا يُدعى يونس بن متّى ، فأخبرني أنه رسول الله ﷺ ؛ فضحكا وقالا : لا يفتنك عن نصرانيّتك ، إنه رجلٌ يخدع . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة[1].

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني ص١٠٣ .

بأبي أنت وأمي يا سيّد الدعاة ... تخرج إلى ثقيف ماشيًا ، وتعرِض الإسلام على كبار القوم من أهل ثقيف ، وبهم من السفالة والوقاحة ما الله به عليمٌ ، وتتعرّض لسخرية ثقيف ، وتسيل الدماء من قدميْك الشريفتين ، ويبلُغ بك العناء ما يجعل أشد الناس عداوةً لك يُشفق عليك ... ومع هذا بمجرد ما تحين الفرصة لدعوة عداس إلى الله إلَّا وتدعُوه ، فمن أحقُّ منك بهذا الشعر ! وقد تغلغل حُبّ مولاك ، والدعوة إليه في كل قطرة دمٍ منك ، وفي كل نبضةٍ من قلبك الطاهر :

واللَّهِ ما طلعتْ شمسٌ ولا غربتْ   إلَّا وحُبُّك مقرونٌ بأنفاسي
ولا جلستُ إلى قومٍ أُحدِّثُهم   إلَّا وأنت حديثي بين جُلّاسي

ز ـ دعوته ﷺ إلى الله في السفر وفي طريق الهجرة :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فأقبل أعرابيٌّ ، فلمّا دنا منه قال له رسول الله ﷺ : « أين تريد ؟ » قال : إلى أهلي . قال : « هل لك إلى خير ». قال : ما هو ؟ قال : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ». قال : هل من شاهدٍ على ما تقول ؟ قال : « هذه الشجرة » . فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطىء الوادي ، فأقبلت تَخُدّ الأرض خدًّا ، فقامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثًا ، فشهدت أنه كما قال . ثم إنها رجعت إلى منبتها ، ورجع الأعرابيُّ إلى قومه فقال : إن يتبعوني أتيتُك بهم ، وإلّا رجعت إليك وكنتُ معك[١] .

وأخرج ابن سعد ، عن عاصمٍ الأسلمي قال : لمَّا هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ، فانتهى إلى الغميم ، أتاه بريدة بن الحصيب ، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم هو ومَنْ معه - وكانوا زهاء ثمانين بيتًا -

---

(١) رواه الحاكم وإسناده جيد .

فصلّى رسول الله ﷺ العشاء فصلَّوْا خلفه .

حتى وهو مطارَدٌ يتربص به الأعداء .. وكل ثانيةٍ من وقته تُقرِّبهم من إدراكه،ولكنَّ الدعوة هي الدعوة.

ح - انطلاقه ﷺ لدعوة رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ :

لم يكن خروجه ﷺ للدعوة إلى منازل الناس ومجالسهم في المرحلة المكية فقط ، بل استمرَّ على ذلك حتى بعد هجرته إلى المدينة المنورة .

فعن أنس رضي الله عنه قال : قيل للنبي ﷺ : لو أتيت عبد الله ابن أبيّ . فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمارًا ، فانطلق المسلمون يمشون معه ، وهي أرض سَبخَة[1] ، فلمّا أتاه النبي ﷺ قال : إليك عني ، والله لقد آذاني نتن حمارك . فقال رجل من الأنصار منهم : والله لحمار رسول الله أطْيَبُ ريحًا منك[2] .

قال النووي في شرح مسلم ١٥٩/١٢ : « وفي هذا الحديث ما كان عليه النبي ﷺ من الحلم والصفح والصبر على الأذى في الله ، ودوام الدعاء إلى الله تعالى » .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ مرَّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عَبَدَة الأوثان واليهود ، فيهم عبد الله بن أبي ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، فلما غشيت المجلس عَجَاجَةُ الدّابَّةِ[3] خمّر عبد الله بن أبيّ أنْفَهُ بردائه ، ثم قال : لا تغيِّروا علينا . فسلّم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل ، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن ،

---

(١) السَّبخة : هي الأرض التي لا تنبت لملوحة أرضها .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلح ، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس ٢٩٧/٥ - ٢٦٩١ . ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين .

(٣) ما ارتفع من غبار حوافرها .

فقال عبد الله بن أبيّ : أيها المرء ! لا أَحْسَـن من هذا . إن كان ما تقول حقًّا ، فلا تُؤذِنا في مجالسنا . وارجع إلى أهلك ، فمنْ جاءك فاقْصُص عليه . فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه : اغْشَنا في مجالسنا فإنّا نحبّ ذلك[١] .

ط - مجيئه ﷺ للدعوة إلى بيت كبير اليهود :

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « انطلقوا إلى يهود » . فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس[٢] ، فقام النبي ﷺ فناداهم : « يا معشر يهود ، أسلموا تسلمُوا ». فقالوا : بلّغت يا أبا القاسم . فقال : « ذلك أريد». ثم قالها الثانية. فقالوا: قد بلَّغتَ يا أبا القاسم. ثم قال الثالثة. فقال: « اعلموا أنّ الأرض لله ولرسوله ، وإني أريد أن أُجْلِيَكم ، فمن وجد بماله شيئًا فليَبِعْه ، وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ولرسوله »[٣] .

ى - دعوته وعيادته للمرضى :

لم يكن اهتمامه عليه الصلاة والسلام منصَبًّا على دعوة كبار الناس فحسب ، بل اعتنى عناية شديدة بدعوة عامَّة الناس .

فقد روى الإمام البخاري ، عن أنسٍ رضي الله عنه قال : كان غلامٌ يهوديّ يخدم النبي ﷺ فمرض ، فأتاه النبي ﷺ يعُوده ، فقعد عند رأسه ،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين .

(٢) المدراس : المراد به كبير اليهود . ونسب البيت إليه لأنه هو الذي كان صاحب دراسة كتبهم ، أي قراءتها . فتح الباري (٣١٨/١٢) .

(٣) صحيح البخاري - كتاب الإكراه ، باب في بيع المكره ونحوه في الحق وغيره . رقم الحديث (٦٩٤٤) ٣١٧/١٢ .

فقال له : « أسلم » . فنظر إلى أبيه ، وهو عنده ، فقال له : أطِعْ أبا القاسم ، ﷺ فأسلم ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : « الحمد لله الذي أنقذه من النار »[1].

ك - دعوته لمُحِبِّيه :

ومن أمثلة حرصه على إنقاذ مَنْ أحبّه - عليه الصلاة والسلام - من النار : أنه دعا عمَّه أبا طالب إلى قول : « لا إله إلا الله » واستمرَّ في دعوته هذه ، حتى عند حضور وقت وفاة عمه .

روى البخاري عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه أنه أخبره : لما حضرت أبا طالبٍ الوفاةُ ، جاءه رسول الله ﷺ ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أُمية بن المغيرة . قال رسول الله ﷺ لأبي طالب : « يا عمّ ، قل : لا إله إلا الله . كلمة أشهدُ لك عند الله » . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أميّة : يا أبا طالب ، أترغب عن ملّة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلّمهم : هو على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول : لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ : أما والله لأستغفرنّ لك ما لم أُنْهَ عنك ». فأنزل الله فيه : ﴿ **ما كان للنبي** ... ﴾[2] الآية [التوبة : ١١٣] .

ل - دعوته ﷺ لمَن كانوا يُبغضونه :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما قاتل رسول الله ﷺ قومًا

---

(١) صحيح البخاري ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلّى عليه ؟ وهل يُعرض على الصبي الإسلام . ٢١٩/٣ - رقم الحديث (١٣٥٦) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا قال المشرك عند الموت : لا إله إلا الله . ٢٢٢/٣ - (١٣٦٠) .

حتى يدعوهم[١] .

م - دعوته ﷺ لمن جاء يريد قَتْلَه :

عن جابر رضي الله عنه قال : كنّا مع النبي ﷺ بذات الرّقاع ، فإذا أتينا على شجرةٍ ظليلةٍ تركناها للنبي ﷺ ، فجاء رجلٌ من المشركين وسيف النبي ﷺ معلّق بالشجرة ، فاخْتَرَطَه ، فقال له : تخافني ؟ فقال له : « لا » . قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : « الله »[٢] .

وفي رواية لأبي بكر الإسماعيلي في صحيحه : فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله ﷺ السيف ، فقال : « من يمنعك مني ؟ ». قال : كن خير آخذ . فقال : « أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ ». قال : لا ، ولكني أُعاهدك على أن لا أقاتلك ، ولا أكون مع قومٍ يُقاتلونك . فخلّى سبيله ، فأتى أصحابه ، فقال : « جئتُكم من عند خير الناس »[٣] .

ن - إرساله ﷺ الرسائل إلى الملوك والأمراء :

عن أنسٍ رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي ، وإلى كل جبّارٍ ، يدعوهم إلى الإسلام ، وليس بالنجاشي الذي صلّى عليه النبي ﷺ . رواه مسلم .

قال ابن حجر : « روى الطبراني من حديث المسور بن مخرمة - رضي الله عنه - قال : خرج رسول الله ﷺ إلى أصحابه فقال : « إن الله بعثني للناسِ كافّةً ، فأدُّوا عني ولا تختلفوا عليَّ » . فبعث عبدَ الله بن حُذافة إلى كسرى ، وسليطَ بن عمرو إلى هوذة بن عليّ باليمامة ، والعلاءَ الحضرميّ

---

(١) رواه أحمد في مسنده . وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ٣/٣٣٥ .
(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب المغازي ، باب غزوة ذات الرقاع .
(٣) مشكاة المصابيح - باب التوكل والصبر - الفصل الثالث .

إلى المنذر بن ساوَى بهَجَر ، وعمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعباد ابني الجُلَنْدَى بعُمان ، ودِحْيَةَ إلى قيصر ، وشجاعَ بن وهب إلى أبي شمَّر الغسّاني ، وعمرو بن أُمية إلى النجاشي . فرجعوا جميعًا قبل وفاة النبي ﷺ غير عمرو بن العاص »(١) . اهـ .

وقال ابن حجر أيضًا : « وزاد أصحاب السِّيَر : أنه بعث المهاجر بن أبي أُمية بن الحارث بن عبد كُلَال وجريرًا إلى ذي الكَلَاع ، والسّائبَ إلى مسيلمة ، وحاطبَ بن أبي بلتعة إلى المقوقس »(٢) .

س – دعوته عند القبر :

عنونَ البخاريُّ بابًا في صحيحه وسمّاه « موعظة المحدّث عند القبر وقعود أصحابه عنده » .

عن عليٍّ رضي الله عنه قال : كنا في جنازةٍ في بقيع الغرقد ، فأتانا النبي ﷺ فقعد ، وقعدنا حوله ، ومعه مخصرة ، فنكس ، فجعل ينكت بمخصرته ، ثم قال : « ما منكم من أحدٍ ، ما من نَفْسٍ منفوسةٍ إلَّا كُتِب مكانُها من الجنة والنار ، وإلّا قد كُتبت شقيّةً أو سعيدة » . فقال رجل : يا رسول الله ، أفلا نتكِل على كتابنا ونَدَع العمل ، فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، وأمّا من كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ؟ قال : « أمّا أهل السعادة فيُيَسَّرُون لعمل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسّرون لعمل الشقاوة » . ثم قرأ : ﴿ **فأمّا من أعطى واتّقى** ﴾(٣) الآية . [الليل : ٥].

---

(١) فتح الباري ٨/١٢٧ – ١٢٨ ، زاد المعاد ١/٣٠ – ٣١ .
(٢) فتح الباري ٨/١٢٨ .
(٣) فتح الباري ٣/٢٢٥ .

ع - قيامه ﷺ بالدعوة وهو في مرض الموت :

وحتى في مرض الموت ما فترت همّته عن الدعوة إلى الله عز وجل ، وهداية الناس وإرشادهم :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان على رسول الله ﷺ خميصة سوداء حين اشتدّ به وَجَعُه ، قالت : فهو يضعها مرة على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : « قاتل الله قومًا اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يُحرِّم ذلك على أُمته[1] .

ف - قيامه ﷺ بالدعوة وهو يُغرغِر بنفسه :

بقي ﷺ منارًا للدُّعاة ، حريصًا على هداية الناس ، حتى وهو يغرغر بنفسه :

عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال : كانت عامَّة وصيّة رسول الله ﷺ حين حضرتْه الوفاة ، وهو يغرغر بنفسه : « الصلاة وما ملكتْ أيمانُكم »[2] .

واستمر يدعو ويوصي حتى لم يبق لسانه المطهر قادرًا على تبيينها :

فعن أم سلمة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ كان يقول في مرضه الذي توفّي فيه : « الصلاة ، وما ملكت أيمانُكم » . فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانُه[3] .

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، ورواه البخاري في صحيحه مختصرًا : كتاب الجنائز - باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ٣/٢٠٠ .

(٢) سنن ابن ماجة - أبواب الوصايا ، باب : وهل أوصى رسول الله ﷺ . قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٢/٩٥ : إسناده حسن ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ٢١٨٣ .

(٣) صحيح : رواه ابن ماجة في سننه ، وصحّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة رقم ١٣١٧ - ١/٢٧١ .

بأبي هو وأمي ﷺ ، ما أعلى همته في الدعوة إلى الله التي جرت في جسده مجرى الدم .. بل قام بها وهو ينتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية حيث الرفيق الأعلى . وعلى طريقه ﷺ في الدعوة وبذْل الجهد فيها ، سار صحابتُه الكرام وأُمته .

الصِّدِّيق رضي الله عنه أوّل خطيبٍ في الإسلام :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لمَّا اجتمع أصحابُ النبي ﷺ ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلًا ، ألحّ أبو بكرٍ على رسول الله ﷺ في الظهور ، فقال : « يا أبا بكر ، إنا قليل » . فلم يزل أبو بكر يُلحّ حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد ، كل رجلٍ في عشيرته ؛ وقام أبو بكر في الناس خطيبًا ، ورسول الله ﷺ جالس ، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله ﷺ ، وثار المشركون على أبي بكرٍ وعلى المسلمين ، فضربوا في نواحي المسجد ضربًا شديدًا ، وَوُطِىءَ أبو بكرٍ ، وضُرِب ضربًا شديدا ، ودنا منه الفاسق عُتبة بن ربيعة ، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ، ويُحرِّفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر ، وحملتْ بنو تيم أبا بكرٍ في ثوبٍ حتى أدخلوه منزله ، ولا يشكُّون في موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد ، وقالوا : والله لئن مات أبو بكر ، لنقتُلنَّ عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبي بكر ، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلِّمون أبا بكرٍ حتى أجاب ، فتكلّم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فمسّوا منه بألسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا وقالوا لأُمّه أُمّ الخير : انظري أن تُطعميه شيئًا أو تسقيه إياه ، فلمّا خلت به ألَحّتْ عليه ، وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله ما لي عِلْمٌ بصاحبك . فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل ، فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت : ما أعرف

أبا بكرٍ ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبّين أن أذهب معك إلى ابنك . قالت : نعم ، فمضتْ معها حتى وجدت أبا بكرٍ صريعًا دَنِفًا[1] ؛ فدنت أُمُّ جميل وأعلنتْ بالصِّياح وقالت : والله إن قومًا نالوا هذا منك لَأَهْلُ فسقٍ وكُفر ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت : هذه أُمُّك تسمع . قال : فلا شيء عليكِ منها . قالت : سالمٌ صالحٌ . قال : أين هو ؟ قالت : في دار ابن الأَرقم . قال : فإن لله عليّ أن لا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا ، أو آتي رسول الله ﷺ . فأمهلتا حتى إذا هدأتِ الرِّجْل وسكن الناسُ ، خرجتا به يتّكيء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ . قال : فأكبَّ عليه رسولُ الله فقبَّله ، وأكبّ عليه المسلمون ، ورقّ له رسول الله ﷺ رقّةً شديدة . فقال أبو بكر : بأبي وأُمي يا رسول الله ، ليس بي بأسٌ إلا ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أُمّي بَرةٌ بولدها ، وأنت مبارَكٌ فادْعها إلى الله وادْعُ الله لها ، عسى أن يستنقذها بك من النار . قال : فدعا لها رسول الله ﷺ ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمتْ ، وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهرًا ، وهم تسعة وثلاثون رجلًا[2] .

يا دعاة الإسلام : هذا هو الصديق - رضي الله عنه - يدعو إلى الله ، فيُضرب بالنعال ، ما يصدُّه ذلك عن الدعوة .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرَّة حتى غُشي عليه ، فقام أبو بكرٍ رضي الله عنه فجعل يُنادي : ويلكم ﴿ **أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله** ﴾ فقالوا : من هذا ؟ فقالوا : أبو بكر

---

(١) الدَّنِف : هو المريض الذي لزمه المرض .

(٢) رواه الحافظ أبو الحسن الأطرابلسي . انظر حياة الصحابة للكاندهلوي ١/ ٢٥٩ - ٢٦١ .

المجنون[١] .

وزاد البزار : فتركوه وأقبلوا على أبي بكر .

الصِّدِّيق الذي سمّاه الله في السماء صدّيقا ، يُسمّيه المشركون المجنون ، وهو يدعو إلى الله !! ولكنّها الدعوة والصبر عليها وعلو الهمة فيها .

« قال ابن إسحاق : فلمّا أسلم أبو بكر - رضي الله عنه - وأظهر إسلامه ، دعا إلى الله عز وجل ، وكان أبو بكر رجلًا مألفًا لقومه محبًّا سهلًا ، وكان أنْسَبَ قريشٍ لقريش ، وأعْلَمَ قريشٍ بما كان فيها من خيرٍ وشرٍّ ، وكان رجلًا تاجرًا ذا خلقٍ ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحدٍ من الأمر ؛ لعِلْمه وتجارته وحُسن مُجالسته ، فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وَثِق به من قومه ، ممّن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه - فيما بلغني - الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، رضي الله عنهم ، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكرٍ ، فعرض عليهم الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، وأنبأهم بحق الإسلام ، فآمنوا . وكان هؤلاء النفر الذين سبقوا في الإسلام صدقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله »[٢] .

فلله درُّ الصديق الداعية الذي أسلم على يديه خمسة من العشرة المبشرين بالجنة .

روى البخاري عن عروة بن الزبير : سألتُ ابنَ العاص فقلتُ : أخبرني بأشدّ شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ ؟ قال : بينما النبي ﷺ يصلّي في حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط ، فوضع ثوبه على

---

(١) رواه أبو يعلى وأخرجه أيضًا البزار ، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . وأخرجه الحاكم وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرّجاه .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢٩/٣ .

عنقه فخنقه خنقًا شديدًا ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ، ودفعه عن النبي ﷺ وقال : ﴿ **أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم** ﴾ الآية .

وهذا بلال بن رباح رضي الله عنه : يعذّبونه في الرمضاء ، وقد وضعوا الصخر على صدره ، وتركوه لأطفال مكة في طرقاتها ، فيجهر بنشيده القدسي : أحد أحد .

وفاروق الإسلام عمر بن الخطاب الذي كان أشدّ قسوة على المستضعفين ، وأبعدهم عن الإسلام ، حتى قال عنه عامر بن ربيعة قبل إسلامه : لا يُسلم حتى يسلم حمار الخطاب . يُسلم ويعزّ به الإسلام ، ويجهر بالدعوة إلى الله عز وجل .

روى البخاري ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما زلنا أعزّةً منذ أسلم عمر بن الخطاب .

وقال ابن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحًا ، وإن هجرته كانت نصرًا ، وإن إمارته كانت رحمةً ، ولقد كنّا وما نصلّي عند الكعبة ، حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر ، قاتَلَ قريشًا ، حتى صلّى عند الكعبة وصلّيْنا معه .

عمر - رضي الله عنه - الذي اتّبع المجالس التي كان يجالس فيها بالكفر ، فلا يبقى مجلس منها إلا أظهر فيه الإيمان ودعا إلى الله عز وجل .

« عن ابن عمر قال : لما أسلم عمر قال : أيّ قريش أنْقَلُ للحديث ؟ فقيل له : جميل بن معمر الجُمحي ، فعدا عليه ، قال عبد الله : وغدوتُ أتبع أثره وأنظر ما يفعل - وأنا غلامٌ أعْقِل كلّ ما رأيت - حتى جاءه فقال له : أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد ﷺ . قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجرّ رداءه ، واتّبعه عمر ، واتّبعتُه أنا حتى قام على باب

المسجد ، صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريشٍ - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صبأ . قال : يقول عمر مِنْ خلفه : كذب ، ولكني قد أسلمتُ ، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله . وثاروا إليه ، فما برح يُقاتلهم ويقاتلـونه ، حتى قامت الشمس على رؤوسهم . قال : وطلح[١] فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحْلِف بالله أن لو قد كُنّا ثلاثمائة رجلٍ ، لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا . قال : فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قريش ، عليه حُلَّة حبرة وقميصٌ موشى ، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟ فقالوا : صبأ عمر ، قال : فمه ؟! رجلٌ اختار لنفسه أمرًا ، فماذا تريدون ؟! أترون بني عدي يُسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خَلُّوا عن الرجل . قال : فوالله لكأنّما كانوا ثوبًا كشط عنه . قال : فقلت لأبي ، بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبَهْ ، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟ قال : ذاك - أي بُنَّي - العاص بن وائل السهمي »[٢].

ابن مسعود - رضي الله عنه - أول من جهر بالقرآن بعد النبي ﷺ :

عن عروة بن الزبير قال : أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود فللَّه درّه[٣].

علو همة علي - رضي الله عنه - في الدعوة إلى الله عز وجل :

عن البراء أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد - رضي الله عنه - إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام . قال البراء : فكنت فيمن خرج مع خالد

(١) أى أعْيَا كما في النهاية .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٧٩/٣ . وقال ابن كثير : إسناده جيد قوي .

(٣) أخرجه ابن حجر في الإصابة ، ورجاله ثقات ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٦٦/١ ، وابن هشام ٣١٤/١ مطولًا .

ابن الوليد ، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام ، فلم يجيبوه ، ثم إن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وأمره أن يُقفِل خالدًا ، إلَّا رجلاً كان ممن مع خالدٍ ، فأحبَّ أن يعقب مع عليٍّ ، فليعقب معه . قال البراء : فكنت فيمن عقب مع عليّ ، فلما دنونا من القوم ، خرجوا إلينا ، ثم تقدم فصلّى بنا عليٌّ ، ثم صفّنا صفًّا واحدًا ثم تقدم بين أيدينا ، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعًا ، فكتب عليّ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم . فلمّا قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرّ ساجدًا ثم رفع رأسه فقال : « السلام على همدان ! السلام على همدان ! »[1] .

دعوة عبد الرحمن بن عوف إلى الله عز وجل :

أخرج الدارقطني عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : دعا النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال : « تجهَّزْ فإني باعثك في سرية » . فذكر الحديث ، وفيه : فخرج عبد الرحمن حتى لحق بأصحابه ، فسار حتى قدم دومة الجندل ، فلمّا دخلها دعاهم إلى الإسلام ثلاثة أيامٍ ، فلما كان اليوم الثالث أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي - رضي الله عنه - وكان نصرانيًّا وكان رأسهم . فكتب عبد الرحمن مع رجلٍ من جُهينة - يقال له رافع بن مكيث - إلى النبي ﷺ يخبره ، فكتب إليه النبي ﷺ ، أنْ تزوّج ابنة الأصبغ ، فتزوّجها ، وهي تماضر التي ولدت له بعد ذلك أبا سلمة ابن عبد الرحمن[2] .

مصعب بن عمير بن هاشم ، السيد الشهيد السّابق البدري القرشي العبدري :

قال البراء بن عازب : « أوَّل من قدم علينا مصعب بن عمير ، وابن

(١) أخرجه البيهقي ، ورواه البخاري مختصرًا . كذا في البداية ١٠٥/٥ .
(٢) الإصابة في تراجم الصحابة ١٠٨/١ .

أُمّ مكتوم ، وكانوا يُقرئون الناس » . رواه البخاري ... سبحان الله ! ما منع العمى ابن أُمِّ مكتوم عن الدعوة إلى الله والخروج من مكة إلى المدينة لتعليم الناس .

بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار إلى المدينة ؛ ليعلمهم كتاب الله ، فنزل بني غنم ، على أسعد بن زرارة يحدِّثهم ويقصّ عليهم القرآن ، فلم يزل مصعب عند سعد بن معاذ ، يدعو ويهدي الله على يديه ، حتى قلّ دارٌ من دور الأنصار إلّا أسلم فيها ناسٌ لا محالة ، وأسلم أشرافهم ، وأسلم عمرو بن الجموح ، وكسرت أصنامُهم ، ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله ﷺ ، وكان يُدعى المقرىء .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب وعبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب ابن عمير يُريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر ، وكان سعدُ بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة فدخل به حائطًا من حوائط بني ظفر ، على بئرٍ يُقال له : بئر مرق ، فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير سيّدا قومهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مشركٌ على دين قومه ، فلمّا سمعا به قال سعدٌ لأُسيد : لا أبا لك ، انطلق إلى هذين الرجُلين ، اللذين قد أتيا دارينا ليُسفِّها ضُعفاءنا فازجرهما ، وانهما أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت ، كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدمًا . قال : فأخذ أسيد بن حضير حربته ، ثم أقبل إليهما ، فلمّا رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب : هذا سيّد قومه وقد جاءك ، فاصدق الله فيه . قال مصعب : إنْ يجلس أُكلّمه . قال : فوقف عليهما مُتشتِّمًا[1]، فقال : ما جاء بكما

---

(١) أي متلفّظًا بقبيح الكلام .

إلينا تُسفِّهان ضعفاءنا عنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة . وقال موسى بن عقبة : فقال له : علام أتيتنا في دارنا بهذا الرعيد الغريب الطريد ؟ ليتسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه . قال ابن إسحاق : فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمرًا قبلته ، وإن كرهته كفَّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت . قال : ثم ركّز حربته وجلس إليهما ، فكلّمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يُذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله . ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله ، كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطهر ، وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلًا إن اتبعكما ، لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن : سعد بن معاذ . ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه ، وهم جلوس في ناديهم ، فلما نظر إليه سعد مقبلًا ، قال : أحلف بالله ، لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسًا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك . قال : فقام سعد بن معاذ مغضبًا مبادرًا مخوفًا ؛ للذي ذكر له من بني حارثة ، وأخذ الحربة في يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئًا . ثم خرج إليهما سعدٌ ، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدًا إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف متشتما ، ثم قال لأسعد بن زرارة : والله يا أبا أُمامة ، والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ، ما رمت[1] هذا مني ، أتغشانا في

---

(١) ما بلغت هذا مني .

دارنا بما نكرهُ ؟ قال : وقد قال أسعد لمصعب : جاءك والله سيد من ورائه قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك اثنان . قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمرًا رغبت فيه ، قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت . ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف . قال : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ؛ في إشراقه وتسهله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالا : تغتسل ، فتطهر ، وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين . قال : فقام فاغتسل وطهّر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته ، فأقبل عائدًا إلى نادي قومه ومعه أسيد ابن الحضير ، فلمّا رآه قومه مقبلًا قالوا : نحلف بالله ، لقد رجع إليكم سعدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم . فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيّدنا وأفضلنا رأيًا وأيمننا نقيبة[1]. قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله ورسوله.قال : فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأةٌ إلا مسلمًا أو مسلمةً ، ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دور من دور الأنصار إلا وفيها رجالٌ ونساء مسلمون ، إلّا ما كان من دار بني أُمية بن زيد ، وخطمة ، ووائل ، وواقف ، وتلك الأوس بن حارثة ؛ وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الأسلت ، واسمه صيفي ، وقال الزبير بن بكار : اسمه الحارث ، وكان شاعرًا لهم ، قائدًا يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق »[2].

---

(١) أي قيادة .

(٢) البداية والنهاية ١٤٩/٣ - ١٥١ .

فلله درّ مصعب بن عمير الداعية الذي على يديه أسلم الجبلان : سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير ، ولله در سعد بن معاذ ، فقد كان إسلامه فتحًا على الأوس والأنصار ، الداعية الذي أسلم بإسلامه قومه الرجال والنساء . فليحسن الداعية خلقه مع أهله ، وليجعل بينه وبينهم وصلا ، فوالله ما دخل بنو عبد الأشهل الإسلام بدايةً إلّا حبًّا لسعد ميمون النقيبة حسن السيرة فيهم .

عروة بن مسعود سيد ثقيف ، ودعوته لقومه :

عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال : لما أنشأ الناس الحج سنة تسعٍ ، قدم عروة بن مسعود - رضي الله عنه - على رسول الله ﷺ مسلمًا ، فاستأذن رسول الله ﷺ أن يرجع إلى قومه ، فقال رسول الله ﷺ : « إني أخاف أن يقتلوك » . قال : لو وجدوني نائمًا ما أيقظوني . فأذن له رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قومه مسلمًا ، فرجع عشاءً فجاء ثقيف يحيونه ، فدعاهم إلى الإسلام فاتهموه وأغضبوه وأسمعوه فقتلوه . فقال رسول الله ﷺ : « مثل عروة مثل صاحب ياسين ، دعا قومه إلى الله تعالى فقتلوه »[1] .

لما قدم عروة الطائف عشاءً فدخل منزله ، فأتته ثقيف تسلّم عليه بتحية الجاهلية ، فأنكرها عليهم وقال : عليكم بتحية أهل الجنة : السلام . فآذوه ونالوا منه ، فحلم عنهم ، وخرجوا من عنده ، فجعلوا يأتمرون به ، وطلع الفجر فأوفى على غُرْفةٍ له ، فأذَّن بالصلاة ، فخرجت إليه ثقيف من كل ناحيةٍ ، ورماه رجلٌ من بني مالكٍ يقال له : أوس بن عوف ، فأصاب أكحله ولم يرق دمه ، فقام غيلان بن سلمة ، وكنانة بن عبد ياليل ، والحكم بن عمرو ،

---

(١) رواه الطبراني ، وروى عن الزهري نحوه ، وكلاهما مرسل وإسنادهما حسن ، وأخرجه الحاكم (٣/ ص٦٦٠) بمعناه وصححه .

ووجوه الأحلاف فلبسوا السلاح وحشدوا ، وقالوا : نموت عن آخرنا أو نثأر به عشرة من رؤساء بني مالك ، فلمّا رأى عروة بن مسعود ما يصنعون قال : لا تقتلوا فيَّ ، قد تصدقت بدمي على صاحبه لأُصلح بذلك بينكم ، فهي كرامةٌ أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إليَّ ، وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ ، لقد أخبرني أنكم تقتلوني .

دعوة ضمام بن ثعلبة في بني سعد بن بكر :

أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال : بعث بنو سعد بن بكر ضمام ابن ثعلبة إلى رسول الله ﷺ ، فقدم علينا ، فأناخ بعيره على باب المسجد ، فعقله ثم دخل على رسول الله ﷺ وهو في المسجد جالس مع أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أنا ابن عبد المطلب » . قال : محمد ؟ قال : « نعم » . قال : يا محمد إني سائلك ومغلظٌ عليك في المسألة ، فلا تجدن عليَّ في نفسك ، فإني لا أجد في نفسي . قال : « سل عما بدا لك » . قال : أنشدك الله إلهك وإله من قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : « اللهم نعم » . قال : فأنشدك الله إلهك وإله من قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نعبده ولا نشرك به شيئًا ، وأن نخلع هذه الأوثان والأنداد التي كان آباؤنا يعبدون ؟ فقال : « اللهم نعم » . ثم جعل يذكر فرائض الإسلام كلها ، ينشده عند كل فريضةٍ كما أنشده في التي كان قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك عبد الله ورسوله ، وسأُؤدي هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتني عنه ، لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف راجعًا إلى بعيره ، فقال رسول الله ﷺ حين ولى : إن يصدق ذو العقيصتين[1]، يدخل الجنة » .

---

(١) العقيصة : الشعر المعقوص وهو نحو من المضفور ، وأصل العقص : اللَّيّ وإدخال أطراف الشعر في أصوله .

وكان ضمام رجلًا جلد أشعر ذا غديرتين ، ثم أتى بعيره ، فأطلق عقاله حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به وهو يسب اللات والعزى ، فقالوا : مه يا ضمام ، اتق البرص والجذام والجنون . قال : ويلكم ، إنهما والله ما يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولًا ، وأنزل عليه كتابًا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، وإني قد جئتُكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه . فوالله ما أمسى ذلك اليوم من حاضرته رجلٌ ولا امرأةٌ إلا مسلمًا . قال ابن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة[1].

دعوة عُمير بن وهب الجمحي ، رضي الله عنه :

كان عمير بن وهب الجمحي شيطانًا من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلقون منه عناءً .

جلس عمير بن وهب مع صفوان بن أُمية في الحجر بعد مصاب أهل بدرٍ بيسيرٍ - وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر - فذكر أصحاب القليب ومصابهم ، فقال صفوان : والله ما إن في العيش بعدهم خير . قال له عمير : صدقت ، أما والله لولا دين عليَّ ، ليس عندي قضاؤه ، وعيالٌ أخشى عليهم الضيعة بعدي ، لركبت إلى محمدٍ حتى أقتله ، فإن لي فيهم علة ، ابني أسير في أيديهم . قال : فاعتنمها صفوان بن أمية ، فقال : عليَّ دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، لا يسعني شيءٌ ويعجز عنهم . فقال له عمير : فاكتم عليَّ شأني وشأنك . قال : سأفعل . قال : ثم أمر عمير بسيفه ، فشُحِذ ....

---

(١) صحيح : أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٥٤ - ٥٥) وقال : قد اتفق الشيخان على إخراج ورود ضمام المدينة ، ولم يسُق واحد منهما الحديث بطوله وهذا صحيح . ووافقه الذهبي .

وسُمّ[١]، ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينما عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحًا السيف ، فقال : هذا الكلب ! عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء إلّا لشرٍّ ، وهو الذي حرَّش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر ، ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله ، هذا عدوُّ الله عمير بن وهب ، قد جاء متوشِّحًا سيفه . قال : فأدخله عليَّ . قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخِذٌ بحمّالة سيفه في عنقه ، قال : « أرْسِلْه يا عمر ، ادن يا عمير » . فدنا ثم قال : أنعم صباحًا - كانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله ﷺ : « قد أكرمنا الله بتحيَّةٍ خيرٍ من تحيتك يا عمير ! بالسلام تحية أهل الجنة » . قال : أما والله يا محمد ، إن كنت بها لحديث عهدٍ . قال : « فما جاء بك يا عمير ؟ » . قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : « فما بال السيف في عنقك ؟ ». قال : قبحها الله من سيوفٍ ، وهل أغنت شيئًا ؟! قال : « اصدُقني ، ما الذي جئت له ؟ » قال : ما جئت إلّا لذلك . قال : « بل قعدت أنت وصفوان ابن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين عليَّ وعيال عندي ، لخرجت حتى أقتل محمدًا ، فتحمل لك صفوان ابن أمية بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائلٌ بينك وبين ذلك » . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت

---

(١) أي جعل فيه سُمٌّ .

تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان ؛ فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق ، فقال رسول الله ﷺ : « فقهوا أخاكم في دينه ، وعلموه القرآن ، وأطلقوا أسيره » . ففعلوا . ثم قال : يا رسول الله ﷺ ، إني كنت جاهدًا على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أُحبّ أن تأذن لي ، فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ، لعلَّ الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أُوذي أصحابك في دينهم . فأذن له رسول الله ﷺ ، فلحق بمكة . وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول : أبشروا بوقعةٍ تأتيكم الآن في أيامٍ تنسيكم وقعة بدرٍ ، وكان صفوان يسأل عنه الرُّكْبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه فحلف أن لا يكلمه أبدًا ، ولا ينفعه بنفعٍ أبدا[1].

فلمّا قدم عمير رضي الله عنه مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذى شديدًا ، فأسلم على يديه أناس كثير[2].

رضي اللَّهُ عنك يا عمير ... كم بدّل الإسلام من الرجال .. كان شيطانًا من شياطين قريش فأسلم ، ففرح المسلمون حين هداه الله ، وقال عمر بن الخطاب : رضي الله عنه : « لخنزيرٌ كان أحب إليَّ منه حين اطلع ، وهو اليوم أحبُّ إلَيَّ من بعض بنيّ » . ثم يصبح داعية يسلم على يديه أناسٌ كثير .

عدي بن حاتم الطائي ، رضي الله عنه :

« لما ارتد بنو طيىء وانضموا إلى جيش المتنبىء طليحة بن خويلد

---

(١) البداية والنهاية ٣١٣/٣ . وهكذا أخرجه ابن جرير عن عروة بطوله .

(٢) الزيادة من كنز العمال ٨١/٧ . وهكذا أخرجه الطبراني عن محمد بن جعفر ابن الزبير . وقال الهيثمي ٢٨٦/٨ : إسناده جيد .

الأسدي ، دعاهم عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه إلى الإسلام بأمرٍ من الصديق رضي الله عنه ، وذلك قبل بدء القتال معهم ، فعادوا بفضل الله مع عدي - رضي الله عنه - إلى خالد رضي الله عنه مسلمين ، وكانوا خمسمائة مقاتل .

كما دعا عدي بن حاتم - رضي الله عنه - بني جديلة ، الذين كانوا قد انضمّوا أيضًا إلى المتنبىء طليحة الأسدي ، فاستجابوا لعديٍّ رضي الله عنه ، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب »[١] .

الله أكبر .. لله دَرُّ الصحابي الجليل عدي بن حاتم الطائي ، يهدي الله على يديه ألفًا وخمسمائة رجل ، بارك الله في سعيهم ودعوته ؛ لصدقهم وإخلاصهم وتنفيذهم وصية نبيهم ﷺ ببدء الدعوة قبل القتال ، كما قال ﷺ : « ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم » .

أمين الأُمَّة أبو عُبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه :

قام أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بدعوة الرُّوميين إلى الإسلام قبل بدء القتال معهم ، فقد ذهب بنفسه ، ومعه يزيد بن أبي سفيان وضرار ابن الأزور والحارث بن هشام وأبو جندل بن سهيل - رضي الله عنهم - إلى القائد الرومي أخي الملك « تذراق » ودعوه إلى الله عز وجل ، وكان ذلك قبل معركة اليرموك[٢] .

كما دعا أبو عبيدة - رضي الله عنه - الرسول الرومي الذي وفد إليه من قِبَل ماهان - وزير ملك الروم - طالبًا منه إرسال خالد بن الوليد - رضي الله عنه - إلى ماهان كي يتفاهم معه ، وشرح الله صدره للإسلام ،

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٥٣ - ٢٥٤ ، والكامل في التاريخ ٢/٢٣٤ .
(٢) البداية والنهاية ٧/٩ - ١٠ .

فاستجاب لدعوة أبي عبيدة - رضي الله عنه - وصاح : « اشهدوا عليّ بأجمعكم ؛ أني من المسلمين » . ففرح المسلمون بإسلامه وصافحوه ، ودعوا له بخيرٍ ، وقالوا له : « ما أعزَّك علينا ، وأرغبنا فيك ، وأكرمك علينا ! وما أنت عند كل امرىءٍ منا إلا بمنزلة أخيه لأمه وأبيه » . قال الرومي : « فإنكم نعم ما رأيت »[1] . وكان هذا قبل معركة فحل .

عمرو بن العاص رضي الله عنه فاتح مصر :

قال ابن كثير في البداية والنهاية ٩٧/٧ - ٩٨ عن توجيه الدعوة لدخول الإسلام إلى أهل مصر : فلمّا تصافوا (المسلمون وأهل مصر) قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : لا تعجلوا حتى نُعذِر ، ليبرز إليّ أبو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد . فبرزا إليه فقال لهما عمرو بن العاص : أنتما راهبَا هذه البلاد ، فاسمعا : إن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق وأمره به ، وأمرنا به محمد ﷺ وأدّى إلينا كل الذي أُمر به ، ثم مضى وتركنا على الواضحة . وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الإسلام ، فمن أجابنا إليه فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة .

وهذا ما بلغه عمرو بن العاص - رضي الله عنه - رسل المقوقس حاكم الإسكندرية أيضًا عند حصاره حصن بابليون ، وبعث به عمرو عبادة بن الصامت مع طائفةٍ من أصحابه إلى المقوقس .

ولما انتهى القتال وقع الأسرى من المصريين في يد فاتح مصر عمرو ، فأبدى المقوقس صاحب الإسكندرية استعداده لأداء الجزية للمسلمين ، على أن يُرَدّ إليه سبايا أرضه . وافق عمرو بن العاص على هذا العرض بعد استئذان أمير المؤمنين الفاروق رضي الله عنه ، على أن يخير الأسرى الموجودون بمصر

---

(١) فتوح الشام للأزدي صـ١٩٨ ، وكتاب الفتوح لابن أعثم ٢٣٨/١ .

بين الإسلام ودين قومهم ، فمن اختار الإسلام فهو من المسلمين ، ومن اختار دين قومه وضع عليه من الجزية .

يقول زياد بن جزء الزبيدي ، الذي كان في جند عمرو بن العاص – رضي الله عنه –: « فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا ، ثم نخيره بين الإسلام والنصرانية ، فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية ، ثم نحوزه إلينا . وإذا اختار النصرانية نخرت النصارى ثم حاذوه إليهم ، ووضعنا عليه الجزية ، وجزعنا من ذلك جزعًا شديدًا ، حتى كأنه رجلٌ خرج منا إليهم »[1] .

الله أكبر ، ما أعلى همتهم في الدعوة إلى الله عز وجل ، وما أعظم فرحهم بإسلام الأسرى ، وما أشد تأسفهم على إعراضهم عنه ! كان فرحهم وتأسفهم : على دخول الناس في دين الله ، ولم يكن لحصولهم على الجزية أو حرمانهم منها .

فها هو **خالد بن الوليد** رضي الله عنه يعرض على أصحاب عدي أن يختاروا إحدى ثلاث : « الدخول في الإسلام أو الجزية ، أو المنابذة والمناجزة » فاختاروا أداء الجزية ، ولم يفرح بذلك خالد رضي الله عنه ، رغم أن مبلغ الجزية كان كبيرًا باعتبار ذلك الوقت ، حيث كان مائة وتسعين ألفًا ، بل ضاق صدره بذلك وبدا تأسفه على إعراضهم عن الإسلام من قوله لهم : « تَبًّا لكم ، ويحكم ! إن الكفر فلاة مضلة ، فأحمق العرب من سلكها »[2].

وفي عصورنا المتأخرة تحدث توماس . و . أرنولد عن حرص الأتراك

---

(١) تاريخ الطبري ١٠٥/٤ – ١٠٦ ، والكامل في التاريخ ٣٩٧/٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٣٦١/٣ – ٣٦٢ ، والبداية والنهاية ٣٨٦/٦ .

على إدخال الناس في الإسلام ، وفرحهم بمن دخل فيه فقال : « قد رأى الأتراك أن أعظم خيرٍ يستطيعون تقديمه لأي فردٍ هو أن يهدوه إلى الإسلام » ثم قال : « ومما يدل على الحب الروحي المتوقد ، الذي جعل هؤلاء القوم في مثل هذه المنزلة من الغيرة على نشر الدين ، تلك الأفراح الشعبية التي كانوا يحيون فيها من دخلوا طوعًا من المسلمين الجدد في الإسلام ، فكان المسلم الجديد يمتطي حصانًا ويُطاف به في طرقات المدينة ، وهم في نشوة النصر ، فإذا توسموا فيه خلوص النية في تغيير دينه ، وعرفوا أنه دخل بمحض إرادته في حظيرة الإسلام ، أو كان شخصًا ذا مكانةٍ طيبة ، استقبلوه بتكريم عظيم ، وأمدوه بما يعينه ، ولا شك أن هناك دليلًا قويًّا ، يؤيد قول من قال : إن في نفوس الأتراك غيرة لا يكاد يصدقها العقل ، حين يبتهلون إلى الله أن يحول الناس إلى الإسلام »(1).

علو همة المتطوعين في نشر الإسلام :

لقد سجل التاريخ أخبارًا حقيقية لنشر العقيدة الإسلامية ، تتضمّن سجلًا بأسماء رجال ونساء من جميع طبقات المجتمع ؛ من الملك إلى الفلّاح ، فلقد كان بدء دخول الإسلام في الهند وجزائر لكديف ومالديف والصين وبلاد أرخبيل الملايو ، وفي إفريقية ، على أيدي التُّجّار المسلمين .

يقول غوستاف لوبون : « والمسلم حيث يمرُّ يترك خلفه دينه ، وقد بلغ أشياع النبي ﷺ ملايين كثيرة في البلاد التي دخلها العرب بقصد التجارة ، لا فاتحين ؛ كبعض أجزاء الصين وإفريقية الوسطى ، وروسية ، وتم اعتناق هذه الملايين الإسلام طوعًا لا كرهًا ، ولم يُسمع أن الضرورة قضت بإرسال جيوشٍ مع هؤلاء المبشرين لمساعدتهم ، ويتسع نطاق الإسلام

---

(1) الدعوة إلى الإسلام ص١٨٤ - ١٨٥ .

بعد أن يقيمه هؤلاء في أي مكان »[١].

بل وتحمس العبيد المسلمون لإدخال النّاس في الإسلام .

ينقل توماس . و . أرنولد قصة عبدٍ مسلم ، في محاولته للدعوة إلى الله فيقول : « إن داوتي قابل رجلًا كان قد انتزع من بلده في طفولته ، وبيع بيع الرقيق في جدة ، فسأله داوتي : « ألا زال يضمر السخط نحو هؤلاء الذين سرقوه ، وأسلموا حياته للعبودية في أقاصي الأرض ؟ » فأجابه الرجل بقوله : « إن شيئًا واحدًا قد عوضني ، وهو أني لم أعد غارقًا في الجهل بين عبدة الأوثان . ما أعجب عناية الرحمن تلك التي جئت بفضلها إلى بلاد الرسول ﷺ هذه ، وتوصلت بها معرفة الدين ! آه ! ما أشد حلاوة الإيمان ! صدقني أيها الرفيق العزيز ، إنه أمر يعجز كل قلب عن الإفصاح عنه . كم أتمنى أن يهديك الله إلى تلك المعرفة السماوية ، ولكني موقنٌ أن الله سيرعاك ، حتى لا تهلك قبل أن تدخل هذا الدين . حقًّا ما أجمل أن أراك مسلمًا ، وأن تصير واحدًا منا ! ولكني أعرف أن الأجل بيد الله يفعل ما يشاء »[٢].

الله أكبر : انظر إلى محاولة داوتي إثارة الحقد في قلب هذا المسلم ضد أهله ، وسعي المسلم إلى إدخاله في الإسلام نفسه .

دخول التتار في الإسلام على يد الشيخ جمال الدين وابنه رشيد الدين من بخارى :

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله : « لمّا فتح التتار العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري ، وأثخنوه جراحًا وقتلًا ، ولم يتركوا فيه إلا روحًا ضعيفةً ونفسًا خافتًا ، وفُلَّ سيف الجهاد والمقاومة ، فأصبح لا

(١) حضارة العرب ٧٣٤ - ٧٣٥ .

(٢) الدعوة إلى الإسلام ص٣٨٥ .

يؤثر ولا يعمل ، وأغمده المسلمون يأسًا وقنوطًا ، وآمن الناس بأن التتار لا يمكن إخضاعهم ، وأن العالم الإسلامي قد كتب عليه أن يعيش تحت حكم هؤلاء الهمج ، وأن الإسلام لا مستقبل له ، قام هؤلاء الدعاة المخلصون ، الذين لا يزال تاريخ الدعوة والإصلاح - على إحصائه واستقصائه - يجهل أسماء كثيرٍ منهم ، يتسربون في هؤلاء الغلاظ الشداد ، يفتحون قلوبهم للإسلام ، حتى تفتحت له وأحبته ، وصاروا يدخلون في دين الله أفواجا .

وهكذا أخضعوا للإسلام من أخضع العالم الإسلامي بالأمس من شرقه إلى غربه ، وأدخلوا أمةً قهرت الأُمم كلها - في عصرها - في دينٍ لا يحميه سيف ، ولا يدافع عنه جيش . أسلم التتار أُمَّةً وجنسًا ، وكونوا دولًا كثيرة ، كان لكثير منها مآثر إسلامية يتجمل بها تاريخ الإسلام ، وكان انتصار الإسلام على الديانتين المنافستين حادثة غريبة ، لا تتعلَّل إلّا بمشيئة الله تعالى وتأييده ، وتفوق دعاة الإسلام - في الإخلاص والرُّوحانية - على دعاة البُوذِيّة والنّصرانيّة »[1].

يقول أرنولد : « لقد كان منافسة هذه الديانات العظمى في إخضاع القوة القاهرة لعقيدتها صراعًا عجيبًا ينظر إليه التاريخ ، وينظر إليه العالم بدهشة واستغراب ، كل يحاول أن يخضع هؤلاء الوحوش القساة ، الذين داسوا هذه الديانات وحطموها . لم يكن أحد يتوقع أن الإسلام سينتصر في هذه المعركة ، ويهزم البوذية والنصرانية ، ويستأثر بالتتار ، فقد كانت عاصفة هجومهم وغاراتهم أشد على المسلمين منهم على غيرهم ، وكانت خسارتهم في ذلك أعظم من خسارة أيّة أمةٍ ودولةٍ وديانةٍ . وقتل التتار علماء

---

(١) ربانية لارهبانية . لأبي الحسن الندوي ص٣١ .

المسلمين وفقهاءهم ، وأسروهم واستعبدوهم ، وقد كان ملوك التتار وأمراؤهم يعطفون على كل ديانةٍ سوى الإسلام .

ولكن رغم هذه المصاعب ، دان المغول والأمم الوحشية التي جاءت بعدهم ، بديانة أمةٍ داستها بأقدامها،واعتنقت الإسلام .

ولا شك أن الفضل في ذلك - كما صرح به « أرنولد » وغيره من المؤرخين الإسلاميين - يرجع إلى هؤلاء الدعاة المخلصين وربانيتهم ، وحرصهم على إرشاد هؤلاء الظالمين الذين سفكوا دماء المسلمين .

وقد نقل « أرنولد » قصة طريفة تدل على أسلوب دعوتهم ، ورقة موعظتهم ، وتجردهم من الأنانية والكبرياء ، وكم لها من أمثال فاتت التاريخ ، وأفلتت من أعين المراقبين وأقلام المسجلين .

أسلم سلطان (كاشغر) الذي كان يسمى « تغلق تيمورخان » (١٣٤٧م - ١٣٦٣م) على يد الشيخ « جمال الدين » الذي جاء من بخارى ، وكان من خبره ، أنه كان مع رفقةٍ له في رحلته ، فمروا بأرض السلطان التي كان قد حماها للصيد ، وهم لا يشعرون ، وأمر بهم الملك ، فأوثقوا ، وعرضوا عليه ، وقال - وقد استشاط غضبًا -: كيف دخلتم في حماي من غير إذنٍ ؟ قال الشيخ : نحن غرباء ، ولم نشعر بأننا نمشي على أرضٍ ممنوعة . ولمَّا علم الملك أنهم إيرانيون ، قال في احتقارٍ وسخرية : حتى الكلب أفضل من الإيرانيين . قال الشيخ : صدق الملك ، لولا أن الله أكرمنا بالدين الحق لكنا أذل من الكلاب . وتحير الملك ، ومضى للصيد تشغل فكره ، وأمر بعرضهم عليه بعد الصيد ، ولما رجع خلا بالشيخ وقال : فسِّر لي ما قلت ، وأخبرني ما تعني بالدين الحق ؟ وفسّر الشيخ الإسلام في حماسةٍ وقوّةٍ ، تفسيرًا رق له قلب السلطان ، وصوّر الكفر تصويرًا بشعًا هائلًا ، فزع منه السلطان ، وأيقن أنه على ضلالٍ وخطر .

ولكن السلطان رأى أنه لو أعلن الإسلام لَمَا استطاع أن يدخل قومه في الإسلام ، ورجا الشيخ أن ينتظر ، حتى إذا سمع أنه ولي الملك ، وجلس على أريكة الحُكم ، زاره ، وكانت المملكة « الجغتائية » قد توزعت في إماراتٍ متعددة ، واستطاع « تغلق تيمور » أن يجمعها ، ويكون منها مملكة صغيرة ، ورجع الشيخ « جمال الدين » إلى بلاده ، ومرض مرضًا شديدًا ، ولما حضرته الوفاة ، دعا ولده « رشيد الدين » وقال له : إنَّ « تغلق تيمور » سيكون في يومٍ من الأيام ملكًا عظيمًا ، فإذا سمعت بذلك تزوره ، وتقرئه مني السلام ، وتذكره بما وعدني به « من اعتناق الإسلام » وكان كذلك ، فقد بويع « تغلق تيمور » بالملك ، وجلس مكان أبيه ، ودخل الشيخ « رشيد الدين في المعسكر لينفذ وصية أبيه ، ولكنه لم يخلص إلى الملك ، فاحتال ، وبدأ يومًا يؤذِّن بصوتٍ عالٍ عند خيمة السلطان في الصباح الباكر ، فطار نوم السلطان وغضب ، وطلب الشيخ « رشيد الدين » وحضر الشيخ ، وبلغ السلطان تحية والده ، وكان السلطان على ذكر منه ، فنطق بالشهادتين وأسلم ، ثم نشر الإسلام في رعيته ، وأصبح الإسلام ديانة الأقطار التي كانت تحت سيطرة أولاد جغتاي بن جنكيزخان »[1].

علو الهمة في تأسيس المساجد لنشر الدعوة :

يقول الكاتب والعالم الأثري الفرنسي : « ما دخلت مسجدًا قط دون أن تهزني عاطفة حادة ؛ أو بعبارةٍ أُخرى : دون أن يصيبني أسفٌ محقق على أنني لم أكن مسلمًا »[2].

---

(١) ربانية لا رهبانية . ص٣١ - ٣٥ ، كتاب « الدعوة إلى الإسلام » لأرنولد ص٢٥٦ .

(٢) الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد ص٤٥٩ .

يقول أرنولد : « في الصلوات اليومية ، يتجلّى هذا الدين في طريقة تزكية خاشعة مؤثرة ، لا تستطيع أن تترك العابد والمشاهد كليهما غير متأثرين »[١].

وذكر أرنولد أن مشهد صلاة في الجمعة في مسجدٍ ، كان عاملًا حاسمًا في تحول سعيد بن الحسن - أحد يهود الإسكندرية - إلى الإسلام ، وذلك في سنة ١٢٣٨م[٢] .

لمّا سيّر الصِّديق يزيد بن أبي سفيان وجيشه إلى الشام ، بشرهم بفتح الله تعالى إياها : « حتى تبنوا فيها المساجد ، فلا يعلم أنكم إنما تأتونها تلهيًا »[٣]. فأسس المسلمون المساجد بدمشق وحمص وحلب واللّاذقيَّة ، عند أول افتتاحهم البلاد الشاميَّة .

وفي العراق لما اختطّ المسلمون مدينة البصرة ، كان أوّل بناءٍ فيها المسجد .

وعندما أسّس عمرو بن العاص مدينة الفسطاط ، أقاموا أول ما أقاموا المسجد . الذي كان دائمًا آية استقرارهم في الأرض ، وتمثيلًا لحركتهم في طابعها الديني وظواهرها الاجتماعية[٤]، وكذا لما فتحوا الإسكندرية كان المسجد أول بناءٍ فيها .

وبنى عقبة بن نافع مسجدًا أول ما بنى مدينة القيروان ، ثم أُقيمت المدينة ومعالمها وطرقها ومرافقها حول المسجد[٥].

(١، ٢) الدعوة إلى الإسلام ص٤٥٨ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١/٤٥٥ .

(٤) انظر فتوح مصر لابن عبد الحكم ص٩١ - ٩٢ والخطط للمقريزي ١/٢٨٦ .

(٥) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد الأنصاري ١/١٠ .

وشيّد حسان بن النعمان الغسّاني مسجدًا جامعًا بمدينة تونس ، عند إنشائه هذه المدينة .

وبنى بالقيروان تاجر الله إسماعيل بن عبيد الأنصاريُّ المسجد الكبير سنة ٩١هـ .

وفي الأندلس كان أول شيءٍ أقامه موسى بن نصير لدى عبوره : « مسجد الرايات » في الجزيرة الخضراء .

وفي الهند وعلى شواطئها الغربية ، بنى مالك بن دينارٍ مسجدًا بمدينة كدنغلور عاصمة مليبار القديمة . كما بنى ابن أخيه مالك بن حبيب عشرة مساجد في أنحاء كيرالا .

وفي السند اختطَّ محمد بن قاسم الثقفي – بعد فتحه مدينة ديبل عام ٩١هـ – مدينةً وبنى فيها مسجدًا .

يقول توماس . و . أرنولد عن تحمس المسلمين لنشر الإسلام على الساحل الغربي من إفريقية : « وإذا ما اجتمع في مدينةٍ ستةُ رجالٍ منهم ، وأقل من ذلك أو أكثر ، وعزموا على أن يقيموا فيها فترةً من الزمن ، سارعوا إلى بناء مسجد ، وأخذوا ينشرون الدعوة »[(١)].

بعث المعلمين والقراء للدعوة في البلاد المفتوحة :

لما فتحت البلاد ، كان أهم أعمال الولاة تعليم الناس الإسلام ،كما يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « إنما بعثتُ عمالًا ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم ، ويقيموا بينكم دينكم »[(٢)]. وإلى جانب هذا ، كان المعلمون يبعثون إلى البلاد المفتوحة لتعليم الناس القرآن الكريم ، وتفقيههم أمور الدين .

(١) الدعوة إلى الإسلام ص٣٧٦ .
(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية ص٢٣ .

لما كتب يزيد بن أبي سفيان إلى الفاروق رضي الله عنهما : « إن أهل الشام كثير ، وقد احتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم » . أرسل إليهم الفاروق - رضي الله عنه - معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء رضي الله عنهم .

وبعث - رضي الله عنه - عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، معلمًا ووزيرًا إلى أهل الكوفة ، قال ابن حجر في الفتح (١٦٢/٣) : « وكان قرظة ابن كعب الأنصاري أحد من وجهه عمر رضي الله عنه إلى الكوفه ليفقه الناس » .

قال قرظة بن كعب : « بعث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رهطًا من الأنصار إلى الكوفة فبعثني معهم »[١] .

وترك عقبة بن نافع في المغرب الأقصى بعض أصحابه يعلمون أهله القرآن والإسلام[٢] .

وأرسل حسان بن النعمان - أمير المغرب - الفقهاء إلى سائر أنحاء بلاد البربر ؛ لتعليم البربر قواعد الدين ، ونشر العربية لغة القرآن[٣] .

وترك موسى بن نصير مع البربر سبعة عشر رجلًا ، يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام[٤] .

وأرسل عمر بن عبد العزيز نافعًا مولى ابن عمر - رضي الله عنه - إلى أهل مصر يعلمهم السنن[٥] .

---

(١) سنن الدارمي ، باب من خاف الفتيا مخافة السقط ٧٣/١ .
(٢) البيان المغرب في أخبار المغرب ٣٧/١ .
(٣) تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، للدكتور : السيد عبد العزيز سالم .
(٤) البيان المغرب في أخبار المغرب ٣٧/١ .
(٥) سير أعلام النبلاء ٤٩٦/٤ .

كما أرسل - رحمه الله - عشرةً من التابعين ؛ ليفقهوا أهل إفريقية ويعلموهم أمر دينهم .

علو همة المسلمين في الدعوة إلى الله في أشدّ الأحوال وأصعبها :

ما كان يشغل الدعاة إلى الله عن الدعوة - التي امتزجت بدمائهم واختلطت بوجيب قلوبهم - شاغِلٌ مهما عظم ، ولله صبرهم في نشر دعوتهم وإسلامهم ، وحياتهم من أجل دعوتهم ونشرها .

يقول الشاعر :

لإسلامي أعيش أنا ... لتوحيدي وذا دِيني
نقشتُ حروفه تعلو ... على كلِّ العناوينِ
بخطٍّ بارزٍ يسمو ... على كلّ الميادينِ
لإسلامي ولو حَتَّى ... إلى الجدران شدُّوني
لإسلامي ولو حتى ... إلى النّيران زفّوني
لإسلامي لإسلامي ... ولو في السُّوق باعوني
وإسلامي له عرقي ... له نبضي وتكويني
وثارات لإسلامي ... تُعايشني تغذِّيني
تبثُّ النّور في رُوحي ... وتنبضُ في شراييني
أنا ما رَمْلةٌ إلَّا ... وتعرفني وتدعوني
أنا بالدَّم قد رَوَّيـ ... ـتُ زيتوني وليموني
أنا من أعْيُن الشهدا ... ء أستوحي براكيني
من القرآن ينشدني ... فيُطربني ويُشجيني
أمَامًا يا دروب الخلـ ... ـد شدّيه وشدّيني
أماما يا مخاض النّا ... ر يا دَرْب القرابينِ
صلاح الدين في أعما ... ق أعماقي يناديني
وراياتي التي طُويتْ ... على ربوات حطِّينِ

وأطفالي هنـاك هنـا ك في عُمْر الرَّياحيـنِ
وآلافٌ من الأسرى وآلاف المسـاجيـنِ
تنادي الأُمة الكبرى وتهتـف بالمـلاييـن
وصوتُ مؤذِّن الأقصى يهيـب بنا أغيثـوني
أنا ماذا أكـون أنـا بـلا رَبِّي بـلا دينـي
أنا ماذا أكـون أنـا أجيبـوني أجيبـونـي

تحمُّس الصديق للدعوة رغم فَقْده لحبيبه ﷺ :

لقد كان موت رسول الله ﷺ أعظم مصيبةٍ حلت بالمسلمين ، ورغم هذا ، ورغم حُبّ أبي بكرٍ الشديد لرسول الله ﷺ ، الذي لا يُعادله حبّ أحدٍ من البشر ، فقد تحمس الصِّدِّيق لنشر الدعوة ، وخطب الصديق بعد موت الحبيب ﷺ فقال :

« إن الله عمر محمدًا وأبقاه حتى أقام دين الله ، وأظهر أمر الله ، وبلغ رسالة الله ، وجاهد في سبيل الله ، ثم توفاه الله على ذلك ، وقد تركyou على الطريقة ، فلن يهلك هالكٌ إلَّا من بعد البيِّنة والشفاء ، فمن كان الله ربه فإن الله حيٌّ لا يموت ، ومن كان يعبد محمدًا ﷺ وينزله إلهًا فقد هلك إلهه . فاتقوا الله أيها الناس ، واعتصموا بدينكم ، وتوكلوا على ربكم ، فإن دين الله قائم ، وإن كلمة الله تامة ، وإن الله ناصر مَنْ نصره ومعزّ دينه ، وإن كتاب الله بين أظهرنا ، وهو النور والشفاء ، وبه هدى الله محمدًا ﷺ ، وفيه حلالُ الله وحرامه . والله لا نُبالي من أجْلَبَ علينا من خلْق الله ، إن سيوف الله لَمَسلولة ما وضعناها بعدُ ، ولنجاهدنّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ فلا يبغينّ أحدٌ إلّا على نفسه »[1] .

---

(١) البداية والنهاية ٦/٢٤٣ .

لله درّ الصدّيق ، الذي قال فيه رسول الله ﷺ وفي عمر : « هذان من الدين السَّمْع والبَصَر »[(١)] .

ونادى منادي الصديق من بعد الغد من مُتَوَفَّى رسول الله ﷺ : « ليتم بعث أسامة . ألا لا يبقين بالمدينة أحدٌ من جند أُسامة إلَّا خرج إلى عسكره بالجرف »[(٢)] .

إصرار الصديق على قتال مانعي الزكاة رغم الأحوال العصيبة :

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : « لما قُبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة ، واشرأبّ[(٣)] النفاق بالمدينة . والله قد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى في حش في ليلةٍ مطيرةٍ بأرضٍ مسبعة » .

وهنا يظهر معدن الرجال ، وتسمو همة الصديق إلى أعلى ما تسمو إليه الهمم ، ويتجلى عزمه الراسخ على قتال مانعي الزكاة ، ويقول قولته التي تكتب بأحرفٍ من نور وترقم في الوجود أبد الدهر : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالًا كانوا يُؤدونه إلى رسول الله ، لقاتلتهم على منعه » . قال له عمر : « يا خليفة رسول الله ، تألف الناس وارفق بهم » . فقال : « أجبار في الجاهلية وخوارٌ في الإسلام ؟ إنه قد انقطع الوحي وتم الدين ، أينقص وأنا حيٌّ ؟! » .

ورضي الله عن الفاروق إذ يقول : « لو أطاعنا أبو بكرٍ لكفرنا » .

---

(١) صحيح . رواه الحاكم في المستدرك ٣/٦٩ وصحّحه وحسّنه الذهبي ، وصحّحه الألباني في الصحيحة رقم (٨١٤) ٢/٤٧٢ - ٤٧٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٢٣ .

(٣) علا وارتفع .

وشهدت الطباق السبع والأرضون السبع ، أن أبا بكرٍ وفيٌّ لدين الله ، وقام مقامًا لا يقومه أحدٌ غيره في الدعوة إلى الله والذَّبّ عن دين .

نَدْب الفاروق المسلمين لقتال أهل فارس بعد وفاة الصديق رضي الله عنهما :

وبالرغم من ألم وفاة وفراق الصِّدِّيق ، فقد كان « أول ما عمل به عمر رضي الله عنه أن نَدَبَ الناس مع المثنّى بن حارثة الشيباني - رضي الله عنه - إلى أهل فارس ، قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات فيها أبو بكر رضي الله عنه ، ثم أصبح فتبايع الناس ، فعاد فندب الناس إلى فارس »[١] .

تحمُّسُ المسلمين للدعوة في زمن زوال خلافتهم :

ورغم المعارضة الشديدة والصعاب الكثيرة ، علتْ هِمَمُ المسلمين في الدعوة في بلاد أرخبيل الملايو ، رغم معارضة الاستعمار الأسباني ، وفي بلاد الهند لم يستطع الاستعمار البريطاني إخماد تحمُّس المسلمين في شبه القارة الهندية للدعوة لدينهم .

يقول الدكتور غوستاف لوبون : « ثقلت قرون على أعفار العرب ، ودخلت حضارتهم في ذمَّة التاريخ منذ زمنٍ طويلٍ ، ولا نقول مع ذلك : إنهم ماتوا تمامًا ، ونرى الآن ديانتهم ولغتهم اللتين أدخلوهما على العالم ، أكثر انتشارًا مما كانتا عليه في أنضر أدوارهم ، فالعربية هي اللغة العامة من مراكش إلى الهند ، ولا يزال الإسلام جادًّا في تقدمه »[٢] .

ويرد توماس . و . أرنولد على من قال : « إن النشاط الدعوي للإسلام مرتبط مع سلطانه السياسي وجودًا وعدمًا » . فيقول :

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٤٤٤ ، والبداية والنهاية ٧/٢٦ .
(٢) حضارة العرب ص٧٣٤ .

« ولم يكن النشاط الروحي للإسلام ، كما زعم عدد كبير جدًّا من الناس ، متمشيًا مع سلطانه السياسي ، بل على العكس من ذلك ، نجد فقدان السلطة السياسية والانتعاش المادي ، يعمل على إبراز أجمل الصفات الروحية ، التي تعد أصدق البواعث التي تحفز على القيام بأعمال الدعوة ، وقد تعلم الإسلام منافع الشدائد ، ولما كان بعيدًا كل البعد عن الانحدار إلى الرخاء المادي ؛ لكونه نذير انحلالِ هذا الدين ، كان من المهم أن تلك البلاد الإسلامية الخالصة ، التي عاشت أطول وقتٍ في ظل الحكم المسيحي ، تتجلّى كأشد ما تكون نشاطًا في القيام بنشر تعاليم الدعوة . ويظهر مسلمو الهند والملايو من الحماسة والغيرة في نشر الدين ، ما لا نجده في تركيا أو في مراكش »(١).

دعوة إلى الله في السجون :

يقول توماس . و . أرنولد : « حتى الأسير المسلم يغتنم الفرص في المناسبات لدعوة آسريه أو إخوانه في الأسر إلى دينه »(٢) .

ثم قال : « وقد تسرب الإسلام إلى أوروبا الشرقية أول الأمر بفضل الله ، ثم ما قام به فقيه مسلم ، سِيق أسيرًا ، وجيء به إلى بلاد بتشنج في مستهل القرن الحادي عشر ، وقد بسط بين يدي كثير منهم تعاليم الإسلام فاعتقدوه في إخلاصٍ ، حتى إنه أخذ في انتشار بين هذا الشعب ، ولم تأت نهاية القرن الحادي عشر حتى كان الشعب بأسره قد اعتنقوا الإسلام ، وكان من بينهم مسلمون تعلموا الفقه والتوحيد .

وفي عهد الإمبراطور جهانجير (١٦٠٥ - ١٦٢٨) كان هناك عالمٌ سني من علماء التوحيد ، يدعى الشيخ أحمد مجدد ، وقد تميز بقدرته على

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ص٤٦٩ .

(٢) الدعوة إلى الإسلام ص٤٥٣ .

مجادلة الشيعة في عقائدهم بنوعٍ خاص . ولما كان هؤلاء مقربين إلى البلاط في ذلك الحين ، نجحوا في إيداعه السجن بتهمةٍ تافهة . وفي خلال السنتين اللتين قضاهما في الحبس ، أدخل في الإسلام عدة مئاتٍ من عبدة الأوثان ، الذين كانوا يرافقونه في هذا السجن نفسه .

ومنها أن الحكومة البريطانية قضت بنفي أحد مولوية[١] الهند إلى جزائر أندمان نفيًا مؤبّدًا ؛ لأنه كان قد قام بنصيبٍ فعال في مؤامرةٍ دبرها الوهابيون سنة ١٨٦٤م ، وهناك أدخل هذا المولوي في الإسلام - قبل وفاته - كثيرًا من المحكوم عليهم »[٢].

علو همة المسلمات في الدعوة إلى الله :

ما كان نشر الإسلام والدعوة إليه قاصرًا على الرجال وحدهم ، فكما قال رسول الله ﷺ : « النساء شقائق الرجال »[٣] فقد أدت المرأة المسلمة أوفر نصيبٍ في الدعوة إلى الله . ومن الشواهد على ذلك :

اهتمام أم شريك رضي الله عنها بالدعوة :

فقد قامت أم شريك - رضي الله عنها - بالدعوة سرًّا في أوساط النساء بمكة المكرمة ، رغم معارضة قريش الشديدة لذلك . ويتجلّى هذا فيما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بقوله : « وقع في قلب أُمّ شريك - رضي الله عنها - الإسلام ، فأسلمت وهي بمكة ، وكانت تحت أبي العسكر الدوسي ، ثم جعلت تدخل على نساء قريشٍ سرًّا ، فتدعوهن وترغبهن في الإسلام ، حتى ظهر أمرها لأهل مكة ، فأخذوها وقالوا : لولا قومك لفعلنا

---

(١) مولوي : لقب يلقب به العلماء في شبة القارة الهندية .

(٢) الدعوة إلى الإسلام ص٤٥٣ .

(٣) صحيح .

بك وفعلنا ، لكنا سنردك إليهم »[١] .

حرص أم سليم على إسلام ابنها ومن تقدم لخطبتها :

حرصت أم سليم - رضي الله عنها - على تلقين ابنها أنس - رضي الله عنه - شهادة الإسلام رغم معارضة زوجها ، ودعت أبا طلحة إلى الإسلام حينما تقدم إليها . ولم ترتضِ منه مهرًا لها سوى الإسلام .

روى الإمام ابن سعد ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن جدته أم سليم رضي الله عنها ، أنها آمنت برسول الله ﷺ ، قالت : فجاء أبو أنس وكان غائبًا ، فقال : أصبوت ؟ قالت : ما صبوت ولكني آمنت بهذا الرجل . قالت : فجعلت تلقن أنسًا ، تشير إليه ، قل : « لا إله إلا الله » ، قل : « أشهد أن محمدًا رسول الله » . قال : ففعل . قال : فيقول لها أبوه : « لا تفسدي علي ابني » . فتقول : « إني لا أُفسده » . قال : فخرج مالك أبو أنس فلقيه عدو فقتله . فلما بلغها قتله ، قالت : « لا جرم ، لا أفطم أنسًا حتى يدع الثدي حيا ، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس ، فيقول : « قد قضت الذي عليها » . فترك الثدي ، فخطبها أبو طلحة وهو مشركٌ ، فأبت . فقالت له يومًا ، فيما تقول : « أرأيت حجرًا تعبده لا يضرك ولا ينفعك ، أو خشبة تأتي بها النجار فينجرها لك ، هل يضرك ، هل ينفعك ؟ »[٢] .

وفي رواية أنها قالت : « إنه لا ينبغي لي أن أتزوج مشركًا . أما تعلم يا أبا طلحة ، أن آلهتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلانٍ النجار ، وأنكم لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت ؟ » . قال : فانصرف عنها وقد وقع في قلبه من ذلك موقعًا . قال : وجعل لا يجيئها يومًا إلا قالت له ذلك[٣] .

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٥٣/٢ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٢٥/٨ - ٤٢٦ .

(٣) الطبقات الكبرى ٤٢٧/٨ .

وفي رواية عند النسائي : قالت : « والله ما مثلك يا أبا طلحة يُردّ ، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ، ولا يحل لي أن أتزوجك . فإن تسلم فذاك مهري ، وما أسألك غيره .

وفي رواية عند ابن سعد : قالت : فهل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وأزوجك نفسي ، لا أريد منك صداقًا غيره ؟ » .

قال ثابت - البناني -: فما سمعت بامرأةٍ قط كانت أكرم مهرًا من أمِّ سليم رضي الله عنها : الإسلام ، فدخل بها فولدت له[١].

قال ﷺ : « دخلت الجنة ، فسمعت خشفةً بين يدي ، فقلت : ما هذه الخشفة ؟ فقيل : الغميصاء بنت ملحان »[٢] .

لله درك أمّ سليم ... تلقنين ابنك الشهادة وهو يرضع ... ويدخل الإسلام على يديك رجلٌ قال عنه رسولنا ﷺ : « لصوت أبي طلحة في الجيش خيرٌ من ألف رجل »[٣] . وهو الذي سرد الصوم بعد النبي ﷺ أربعين عامًا .

أم حكيم بنت الحارث وحرصها على إسلام زوجها عكرمة :

لما أسلمت أُمُّ حكيم بنت الحارث زوجة عكرمة يوم الفتح ، وفرَّ زوجها إلى اليمن ، وكان النبي ﷺ قد أهدر دمه ولو كان معلقًا بأستار الكعبة ، حرصت أم حكيم - رضي الله عنها - على إسلام زوجها ، فبذلت لذلك جهودًا عظيمة . وكان عكرمة قد غادر مكة نحو الغرب في اتجاه جدة ، يريد اليمن عن طريق البحر ، خوفًا من القتل ، فاستأمنت أُمُّ حكيم النبي ﷺ .

---

(١) سنن النسائي - كتاب النكاح - التزويج على الإسلام ، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٢) رواه أحمد ومسلم والنسائي عن أنس .

(٣) صحيح : أخرجه الحاكم في المستدرك عن جابر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٠٨١) .

لزوجها ، وخرجت في طلبه ، وكانت قد اصطحبت معها غلامًا لها مملوكًا إلى جدة ، فاستغل الوضع المضطرب التي هي عليه ، فراودها عن نفسها أثناء الطريق ، فجعلت تمنيه « وكانت امرأةً عفيفة فاضلة عاقلة ، حتى قدمت على حي من العرب هم بنو علكٍ ، فطلبت منهم اعتقال الغلام ، بعد أن أخبرتهم خبر صنيعه القبيح ، فأوثقوه كتافًا ، وأبقوه لديهم حسب طلبها ، ثم واصلت سفرها حتى وصلت ميناء جدة »[(١)] .

وكان عكرمة قد ركب السفينة ، وعندما ركبها قال له ربانها - وكان مسلمًا -: أخلص فقال : أي شيءٍ أقول : قال : قل : لا إله إلا الله . قال عكرمة متعجِّبًا : ما هربت إلا من هذا . وبينا هو يحاور ربان السفينة ، إذ بامرأته العفيفة الوفية تناديه في إلحاحٍ : يا ابن عمّ جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس ، لا تهلك نفسك فوقف لها ، واستوضحها : ما الخبر ؟ فقالت : إني استأمنت لك محمدًا رسول الله ﷺ . قال : أنت فعلت ذلك ؟ قالت : نعم .

وفي رواية أُخرى : فأدركته وقد ركب سفينة فنادته : « يا ابن عم ، هذا أمانٌ معي من رسول الله ﷺ ، فإن تسلم وتقبل أمان رسول الله ﷺ فأنا زوجتك ، وإلا انقطعت العصمة فيما بيني وبينك »[(٢)] .

وعاد معها ، وفي الطريق « جعل عكرمة يطلب امرأته ، يجامعها ، فتأبى عليه وتقول : إنك كافر وأنا مسلمة »[(٣)]. فجعل يقول لها : إن أمرًا منعك مني لَأَمرٌ كبير . وفي أثناء العودة سألها عن غلامها الرومي ... فأخبرته خبر محاولته الدنيئة ، فلما وصل حيث الغلام مكتوفًا ، قتله في

---

(١) فتح مكة لمحمد أحمد بشاميل ص٢٢٧ .
(٢) ، (٣) تاريخ ابن عساكر ١١/٧٥٤ - ٧٥٦ .

الحال ، وذلك قبل أن يسلم . فلما دنا عكرمة من مكة ، بشر النبي ﷺ أصحابه بإسلام عكرمة ، فقال : « يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنًا مهاجرًا » .

وذكر المؤرخون أن الرسول الله ﷺ لما أقبل عليه عكرمة وثب إليه ، وما على النبي ﷺ رداء ، فرحًا بعكرمة . ثم جلس رسول الله ﷺ فوقف بين يديه ، وزوجته متنقبة ، فقال : يا محمد ، إن هذه أخبرتني أنك أمنتني . فقال رسول الله ﷺ : « صدقتْ ، فأنت آمن ». فقال عكرمة : فإلامَ تدعو ؟ قال : « أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة » . فقال عكرمة : والله ما دعوت إلا إلى الحق وأمر حسنٍ جميلٍ ، قد كنت والله فينا – قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه – وأنت أصدقنا حديثًا وأبرنا برًّا . ثم قال عكرمة : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله . فسر بذلك رسول الله ﷺ وقال : « لا تسألني اليوم شيئًا أُعطيه أَحدًا إلّا أعطيتكه » . فقال عكرمة : فإني أسألك أن تستغفر لي كل عداوةٍ عاديتكها ، أو مسير وضعت فيه ، أو مقام لقيتك فيه ، أو كلام قلته في وجهك ، أو أنت غائبٌ عنه . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها ، وكل مسير سار فيه إلى موضعٍ ، يريد المسير إطفاء نورك ، فاغفر له ما نال مني من عرض ، في وجهي أو أنا غائب عنه ». فقال عكرمة : رضيت يا رسول الله . ثم قال عكرمة : أما والله يا رسول الله ، لا أدع نفقة كنت أنفقها في صدٍّ عن سبيل الله ، إلّا أنفقت ضعفها في سبيل الله ، ولا قتال في صدٍّ عن سبيل الله ، إلّا أبليت ضعفه في سبيل الله »[١].

وكان إسلام الصنديد عكرمة حسنةً من حسناتٍ ، يسوقها الله ،

---

(١) فتح مكة لبشاميل ص٢٢٨ – ٢٢٩ نقلًا عن مغازي الواقدي ٨٥٣/٢ ، وزاد المعاد ٢٩٨/٢ .

بفضله ومنّه على يد أم حكيم ، رضي الله عنها .

نعم ، هذه هي المرأة المسلمة : في وضاءتها وعفتها ووفائها ودعوتها لدينها .

قال توماس . و . أرنولد : « يرجع الفضل في إسلام كثيرٍ من أمراء المغول إلى تأثير زوجةٍ مسلمة ، ولا يبعد أن يكون مثل هذا التأثير سببًا في إسلام كثيرٍ من الأتراك الوثنيين ، عندما كانوا قد أغاروا على الأقطار الإسلامية » .

وقال توماس : « ويقال:إن نساء قزان التتريات بوجهٍ خاص ، ذوات غيرةٍ باعتبارهن داعياتٍ إلى الإسلام ، ولا تمنع المتمسكة بدينها من أن تحتل مكانها إلى جانب الولي من الرجال في زمرة الداعين إلى العقيدة »[١] .

فيا ربات الخدور ... يا من سرتن على ركب القانتات العابدات الداعيات .. لا بد من الدعوة إلى الله عز وجل ... لا بد أن تخالط الدعوة إلى الله عز وجل دماءكن ، وأنفاسكن ، لا بد أن تؤثرن الدعوة إلى الله على كل شيء . فأهل الباطل ديدنهم : ﴿ **أن امشوا واصبروا على آلهتكم** ﴾ فما أجراكن بالصبر على الدعوة إلى الله .

فهذه « جولدا مائير » رئيسة وزراء إسرائيل من ١٩٦٩ - ١٩٧٣ إحدى النساء اللواتي ساهمن مساهمةً قوية في قيام دولة إسرائيل ، قال عنها : « ابن غوريون » أول رئيس للوزراء - عندما عادت من أمريكا محملة بخمسين مليون دولار بعد حملة تبرعات واسعة -: « سيقال عند كتابة التاريخ : إن امرأة يهودية أحضرت المال ، وهي التي صنعت الدولة »[٢] . بل

(١) الدعوة إلى الإسلام ص٤٥١ - ٤٥٢ .
(٢) مذكرات جولدا مائير ص١٧١ .

قال عنها ثانية : « إنها الرجل الوحيد في الدولة ! »[1][2] .

هذه اليهودية الكافرة تقول : « لقد كانت مسألة العمل في حركة العمل الصهيوني ، تجبرني للإخلاص لها ، ونسيان همومي كلها ، وأعتقد أن هذا الوضع لم يتغير طيلة مجرى حياتي في الستة عقود التالية » .

وتقول في مذكراتها ص٢٨٣ : « لم يقدم لنا الاستقلال على طبقٍ من فضة ، بل حصلنا عليه بعد سنين من النزاع والمعارك ، ويجب أن ندرك بأنفسنا ومن أخطائنا ، الثمن الغالي للتصميم والعزيمة » .

وتقول ص٧١ : « لقد كان علينا الاعتماد على أنفسنا ، ومجابهة أي طارىءٍ بروح بطولية مسئولة » .

هذه المرأة الرجل ... فأين دعاة القومية العربية ... الدعاة إلى التراب لا الدين ... أين أصحاب النعرات الناصرية .

« من الخليج الثائر ... إلى المحيط الهادر ... لبيك عبد الناصر » .

تروح بنا مصائبُنا وتغدو ... فما يُرْعى لنا في الناس عهدُ
ويخطب باقِلٌ في كلّ نادٍ ... فيا « سُحْبانُ » قولُك لا يُعَدُّ
تُعيرهمُ الصحافةُ مُقلتيها ... فهم في عُرفها الرُّكْن الأشدُّ
لهم عَبْرَ الإذاعة ألفُ صوتٍ ... وفي التِّلفاز أذرعةٌ تُمَدُّ
على وطنيّة التفكير قاموا ... وتحت غطائها قبضوا ومدُّوا
أقول لهم ثقافتُكم هباءٌ ... وليس لغيمكم برْقٌ ورعدُ
لنا وطنيّةٌ ليست نشازًا ... فما تجفو الكتابَ ولا تندُّ

(١) مذكرات جولدا مائير ص٩٧ .
(٢) نكون أو لا نكون .. نظرات في مذكرات المرأة الصهيونية الرجل . لأحمد عبد الرحمن الصويان . ص١٠٧ - مقال في مجلة البيان العدد ٨٨ - المنتدى الإسلامي لندن .

لنا البيتُ الحرامُ لنا حراءٌ   نعم ، ولنا زمازمُنا[١] ونجْدُ
لنا أرض الجزيرة قام فيها   من الإسلام دون البغي سدُّ
لنا الأقصى لنا شامٌ ومِصْر   لنا يمنٌ وبغدادٌ وسِنْدُ
لنا في المغرب العربيّ أهلٌ   وأحبابٌ ، وفي كابولَ جُندُ
لنا الإسلام يجمع شمل قومي   وإن وَرِمتْ أنوفُ مَنِ استبدُّوا
ولا وطنيةً لدُعاة فكْرٍ   دخيلٍ ، مِنْ سوانا يُستَمَدُّ
إذا صارت روابطُنا ترابًا   عليه حبالُ أُمَّتنا تُشَدُّ
فلا تعجب إذا اضطربت خُطانا   وساوَمَنا على الأمجاد وغدُ
عروسٌ جُلِّلتْ بثيابِ حُزنٍ   وطاف بها على الشّارِينَ عبد
مراكبها تُسَيَّرُ في بحارٍ   ولا هدفٌ على الشّطان يبدو
إذا لم يحكم الإسلامُ قومي   فمَهْدُك أيها المولود لَحْدُ

لا بدّ من الدعوة إلى الله عز وجل على كل المستويات :

دعوة للمنحرفين والغافلين إلى التمسُّك بالإسلام .

ودعوة للمتمسكين به لبعث هممهم ، وتعريفهم لطريق العمل وفقه الدعوة ، وقيامها على عقيدة السلف ، والتربية الإيمانية بفقة الكتاب والسنة وكثرة الذِّكر ، وقيام الليل وصيام النهار ، والمحافظة على الصلوات ... وتبصيرهم بواقع المسلمين الحاضر المؤلم ؛ ليُؤثروا العمل مع ميامين نفروا لمُقارعة الجاهلية والرجوع بالأمة إلى إسلامها بزيادة بذلٍ ، وترقيق قلب القلب بتراجم وأقوال الأئمة من السلف ؛ من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ، وزُهّاد الأُمّة وعُبّادها وأصحاب السلوك فيها ، فكم من بركةٍ كامنة في كلامهم ، وهم العلماء بالله ، وكما قال يحيى بن معاذ : «أحسن شيءٍ: كلامٌ رقيق، يُستخرج من بحرٍ عميقٍ، على لسانِ رجُلٍ رفيق»[٢] .

---

(١) زمازم : اسم من أسماء زمزم .
(٢) تاريخ بغداد ٢٠٩/١٤ .

لا بد من الدعوة إلى الله وعلو الهمة فيها ؛ لانتشال الأمة من تيهها الذي تهيم فيه ، فالسواد الأعظم قد انحرف عن غير ما قصد كيد ، ولا إرادة سوءٍ ، وهم أهلٌ لأن يشاركوا الدعاة إلى إرجاع الأمة إلى التمسك بدينها ، إذا انجلى لهم جانب الانخداع الذي هم فيه ، فالفتنة قد فني عليها الكبير ، وكبر عليها الصغير .

لا بد من الدعوة إلى الله لاستنقاذ الظِّباء الجفولة ، والعصاة الذين تخلفوا عن منازل الفضل .

لا بد من الدعوة لمن ألهته الشهوة والغفلة عن الفرائض ، وسدر في العصيان .

لا بد من خطاب المقت والتذكير الغاضب لصاحب الكبائر الظالم الماجن .

كل ذلك في آنٍ واحد ... ولا تعجب فالدعوة هي الدعوة .

لا بد من تذكير المسلمين بأصلهم الضارب في التاريخ ، وحقيقة دورهم في الماضي والحاضر والمستقبل ، وأنه دورٌ ماضٍ في هذه الأرض إلى آخر الزمان ، كما قال ربعيّ بن عامر : « إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ظلم الكهان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة » .

نحن وُرّاثٌ هُداةٌ للبشرْ ... نحن عند الحقِّ سرٌّ مدَّخرْ
لا تزال الشمس تُبدي نورنَا ... غَيْمُنا فيه بُرُوقٌ وسَنَا
ذاتُنا المرآةُ للحقِّ ، اعْلَمِ ... آيةُ الحقِّ وجودُ المسلمِ[1]

إن وجود المسلم ووجود الدعوة إلى الله حتمية من حتميات التاريخ الماضي والحاضر ، وإنها لحتمية ماضية إلى يوم القيامة .

---

(١) ديوان الأسرار والرموز لإقبال ص٦٧ .

لا بد من الدعوة إلى الله ، وإلّا فسدت الأرض وأسنت الحياة ، وتعفنت ، وذاقت البشرية الويلات من بعدها عن منهج الله .

إن المسلم أعز من أن يعتقد أن لضيق الأرض بإمكانه النطق بالصواب ، وإنما الصواب عنده ما نزل من السماء ، ودعا إليه رسول الله ﷺ : « أصدق كلمةٍ قالها الشاعر : كلمة لبيدٍ : ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطل »[1] .

حينما يعيش الإنسان لدعوة الله ، يومها فقط سيذوق ، معنى السعادة .

إنّ السعـــادة أن تعيـــ ـــش لفكرة الحقّ التليـدْ
لعقيـــدةٍ كبـــرى تحـــل قضية الكـون العتيـدْ
وتُجيب عمّا يسأل الـ ـحيرانُ في وعيٍ رشيدْ
من أين جئتُ ؟ وأين أذ هَبُ لم خُلِقتُ ؟ وهل أعودْ
فتُشيـع في النفس اليقيـ ـن وتطرد الشكّ العنيـدْ
وتُعلّم الفكـرَ السّـويَّ وتصنع الخُلُق الحميـدْ
وتـــردّ للنّهـج المُسَـدَّ دِ كلّ ذي عقلٍ شرودْ
تُعطي حياتـك قيـمـةً ربّ الحيـاة بهـا يشيـدْ
ليظلّ طَرْفُـك رانيـاً في الأُفْق للهدف البعيدْ
فتعيش في الدنيا لأُخـ ـرى لا تزولُ ولا تَبيدْ
وتمـدّ أرضـك بالسمـا ءِ وبالملائكـة الشُّهُـودْ
هـذي العقيـدة للسعيـ ـدِ هَي الأساسُ هَي العمودْ
من عاش يحملها ويهـ ـتفُ باسمها فهو السعيدْ[2]

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابن ماجة عن أبي هريرة .

(٢) ليوسف القرضاوي ، عن مجلة التربية الإسلامية - السنة السادسة ص٢٧٨ .

يقول الشيخ القدوة السلفي عبد القادر الجيلاني ، مبينا فرحه عند العمل للدعوة وهداية الناس : « سبحان من ألقى في قلبي نُصح الخلق وجعله أكبر همي » . ويقول : «إذا رأيتُ وجه مريدٍ صادق قد أفلح على يدي ، شبعت وارتويت واكتسيت ، وفرحت ؛ كيف خرج مثله من تحت يدي ! »[1] .

وقال رحمه الله : « المتزهد المبتدئُ في زهده : يهرب من الخلق ، والزاهد الكامل في زهده : لا يبالي بهم ، لا يهرب منهم ، بل يطلبهم ؛ لأنه يصير عارفًا لله عز وجل ، ومن عرف الله لا يهرب من شيءٍ ، ولا يخاف من شيءٍ سواه . المتبدىء يهرب من الفساق والعصاة ، والمنتهي يطلبهم . كيف لا يطلبهم وكل دوائهم عنده ؟!

ولهذا قال بعضهم : لا يضحك في وجه الفاسق إلا العارف . من كملت معرفته لله عز وجل ، صار دالًّا عليه ، يصير شبكةً يصطاد بها الخلق من بحر الدنيا ، يعطى القوة حتى يهزم إبليس وجنده ، يأخذ الخلق من أيديهم .

يا من اعتزل بزهده مع جهله ، تقدم واسمع ما أقول .

يا زهاد الأرض تقدموا ، خربوا صوامعكم واقربوا مني ، قد قعدتم في خلواتكم من غير أصلٍ . ما وقعتم بشيءٍ . تقدموا »[2] .

رضي الله عنك يا جيلاني ... كلمات تهز القلب اهتزازًا ، ويطرب لها الفؤاد . خذ مكانك يا ابن الإسلام في صفوف دعوة الإسلام ... وحرر نفسك من نير الأفكار الأرضية ، وآراء طواغيت القرن العشرين .

يقول الإمام العظيم الجيلاني ، مبينا أن المؤمن الأخرس متأخر ، وأنه

---

(١) الفتح الرباني للجيلاني ص٢٧ .
(٢) الفتح الرباني للجيلاني ص٧٣ بتصرف .

لا مكانة بعد النبوة فوق مكانة الدعوة ، وأن الفائز عند الله من اختاره الله : « وجعله جهبذًا وداعيًا للعباد ونذيرًا لهم ، وحجة هاديًا مهديًا ... فهذه هي الغاية القصوى في بني آدم .. لا منزلة تفوق منزلته إلا النبوة »[1] .

وبمثل هذه الكلمات النيرة أسلم المئات ، واهتدت الألوف المؤلفة في مجلس الجيلاني الداعية الرباني عالي الهمة .

من أراد أن يدلف إلى الفردوس الأعلى ، ولا يرضى بالمنازل الواطئة ، من أراد المنزلة العليا القصوى من الجنة ، فعليه أن يكون في المنزلة القصوى في هذه الحياة الدنيا .. واحدة بواحدة ، ولكلِّ سلعةٍ ثمن .

وما هذه المنزلة القصوى في الدنيا إلّا منزلة الدعوة إلى الله .. رحمك الله يا جيلاني ، فما كان أفهمك لدعوة الله .

يقول الجيلاني عن المؤمن الأخرس عن الدعوة : « قلبٌ بلا لسانٍ ، هو مؤمن ستره الله عز وجل عن خلقه ، وأسبل عليه كنفه ، وبصره بعيوب نفسه ، ونور قلبه » .

« فلأن هذا المؤمن لم يملك اللسان ، نزلت مرتبته ، وتأخرت ، وفقد ما في ألقاب الأول من الهيبة والفخامة ؛ فالأول : (جهبذ) و (داعية) و (حجة) ، وله ما في هذه الكلمات من إشعاع البهاء . والثاني (مستور) فحسب ، وبين جرس هذه الكلمة ولفظها ، وتلك الكلمات وألفاظها من البعد ، مثل ما بين الأرض والسماء . إن بونًا شاسعًا ، وطفرة واسعة بين المنزلتين ؛ منزلة الدعوة ، ومنزلة الإيمان المستور المنعزل . وسبب البون هو اللسان الناطق بالحق لا غير. من ملك هذا اللسان ، فقد بذ وسبق قافلة السائرين إلى الله . كلهم يسير إلى الله ، ولكن أين من في المقدمة ، ممن في المؤخرة ؟ وكلهم يدخل إن شاء الله الجنة ، ولكن أين من يدخلها في الزمر

---

(١) الفتح الرباني ص٤٩ .

الأولى ، ممن يدخلها بعد أعوامٍ من الانتظار في ساحة العرض !! »[١] .

أخي : العالم من كان داعية ، أما مؤلف الكتب فحسب،فنقول له :

لستَ والله عالمًا أو حكيمًا   إنما أنت تاجرٌ في العلوم[٢]

ابن الجوزي الداعية الكبير :

صاحب المجلس الذي تاب فيه الآلاف ، وأسلم المئات ، وبكت آلاف العيون من المواعظ النورانية ... ملأ بغداد دعوة إلى الله وحثًّا على الدعوة ، يقول ، رحمه الله : « الزهاد في مقام الخفافيش ، قد دفنوا أنفسهم بالعزلة عن نفع الناس ، وهي حالة حسنة إذا لم تمنع من خيرٍ ، من جماعةٍ واتباع جنازةٍ وعيادة مريضٍ ، إلا أنها حَالة الجبناء .أما الشجعان فهم يتعلمون ويعلمون ، وهذه مقامات الأنبياء عليهم السلام »[٣] .

« وهكذا استمرت كلمات الواعين في كل جيل ، لا يسوغون لأحدٍ أن يعتزل ويقعد عن الدعوة إلى الله ولو أكثر العبادة .

حسبوا بأن الدِّين عُزلةُ راهبٍ   واستمرءوا الأوراد والأذكارا
عَجَبًا أراهم يؤمنون ببعضه   وأرى القلوب ببعضه كُفّارا
والدِّين كان ولا يزال فرائضًا   ونــوافلًا لله واستغفــارا
والدِّين ميدانٌ وصَمْصَام وفُرْ   سانٌ تُبيد الشَّرَّ والأشـرارا
والدين حُكم باسم ربِّك قائم   بالعدل لا جوْرًا ولا استهتارا »[٤]

دع بيتك وراء ظهرك :

والقعود في البيوت أكثر بعدًا عن صفة المؤمن الكامل ، ولذلك كان

---

(١) المنطلق لمحمد أحمد الراشد ص١٢٢، ١٢٣ . مؤسسة الرسالة .

(٢) ديوان المثاني لعزام ص٩٨ .

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي ص٢٢٤ .

(٤) المنطلق ص١١٦ .

الصحابة - رضي الله عنهم - ينكرون أشدَّ الإنكار على من يتوارى في بيته.

قال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه -: « إن أقلَّ العيب على المرء أن يجلس في داره »[1]. فعدوه عيبًا.

يقول الغزالي رحمه الله: « اعلم أن كل قاعدٍ في بيته، أينما كان، فليس خاليًا في هذا الزمان عن منكرٍ، من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف، فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد، فكيف في القرى والبوادي، ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية، وسائر أصناف الخلق.

وواجبٌ أن يكون في كل مسجدٍ ومحلَّةٍ من البلد فقيهٌ يعلم الناس دينهم، وكذا في كل قرية، وواجبٌ على كل فقيهٍ فرغ من فرض عينه، وتفرغ لفرض الكفاية، أن يخرج إلى ما يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيرهم، ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم »[2].

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٢٧/١٦): « فواجب على الأمة أن يبلغوا ما أُنزل إليه، وينذروا كما أنذر، قال الله تعالى: ﴿ **فلولا نَفَر من كل فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقَّهُوا في الدِّين ولِيُنذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ والجن لمّا سمعوا القرآن ﴿ **ولَّوْا إلى قومهم منذرين** ﴾ ».

قال ابن القيم: « والعالم الذي قد عرف السنة، والحلال والحرام، وطرق الخير والشر، مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم: أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح »[3].

---

(١) طبقات ابن سعد ٢٢١/٣.

(٢) إحياء علوم الدين ٣٤٢/٢.

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية ص٩٣.

الداعية رحّالة[١]:

أخي : كان الدعاة إلى الله يسيحون لنشر الدعوة وتبليغها ، ويبادئون الناس بالكلام ، ويحتكون بهم احتكاكًا هادفًا ، ولا ينتظرون مجيء الناس لهم ليسألوهم ، هكذا كان شأن الدعاة دومًا .

أما ترى الأعرابي يقول لرسول الله ﷺ : « يا محمد ، أتانا رسولك ، فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك . وكذلك الناس تُؤتى ، ومن انتظر أن يأتيه الناس فليس بداعيةٍ ، وستبقيه الأيام وحيدًا فريدًا وتعلمه التثاؤب ، لا بد من تحركٍ ومباداةٍ وغدوٍّ ورواح وتكلُّمٍ وزعمٍ .

ليس القعود والتمني من الطرق الموصلة ، فافقه سيرة سلفك وقلدهم ، تصل ، وإلا فراوح في مكانك ، فإنك لن تبرحه .

وَصْل الماضي بالآتي :

إن الإسلام اليوم أحوج ما يكون إلى جماعةٍ من الدعاة الذين يدركون جيدًا واجبهم في هداية الناس ، ويبصرون موقعهم في موكب الدعوة السائر ، وأنهم حلقة تصل الماضي بالآتي .

نحن في ذي الحياة رَكْبٌ سِفَارٌ يَصِلُ اللاحِقين بالماضينا
قد هدانا السبيلَ مَنْ سبقُونا وعلينا هدايةُ الآتينا[٢]

نعم ، تعبوا - رحمهم الله - حتى أوصلوا عقيدة التوحيد لنا ، وربونا ، وهذبونا ، وانتشلونا من مخاطر متلفة ، وعلينا أن نكون أوفياء لهم ، ننفذ عهدنا ، حين أخذوا علينا أن نعمل مثل الذي عملوا .

والغرس يقتضي مخالطة الناس ، ومشافهتهم والصَّدع بالحق .

أما أن يختار الخلوة ، فهو كما وصفه مصطفى صادق الرافعي :

---

(١) المنطلق ص١١٩ ، ١٢٠ بتصرف .
(٢) المثاني لعزّام ص١٤٩ .

« يحسب أنه قد فرّ من الرذائل إلى فضائله ، ولكن فراره من مجاهدة الرذيلة ، هو في نفسه رذيلةٌ لكل فضائله ، وماذا تكون العفة والأمانة والصِّدق والوفاء والبر والإحسان وغيرها ، إذا كانت فيمن انقطع في صحراء أو على رأس جبلٍ ؟ أيزعم أحدٌ أن الصدق فضيلة في إنسانٍ ليس حوله إلا عشرة أحجار ؟ وأيم الله ، إن الخالي من مجاهدة الرذائل جميعًا ، لهو الخالي من الفضائل جميعًا »[(١)] .

وصفٌ لعالي الهمة من الدعاة :

يقول الجيلاني : « هم قيامٌ في مقام الدعوة ، يدعون الخلق إلى معرفة الحق عز وجل ، لا يزالون يدعُون القلوب »[(٢)] .

« من صحت تبعيته للرسول ﷺ ، ألبسه درعه وخوذته، وقلده سيفه . ونحله من أدبه وشمائله وأخلاقه ، وخلع عليه من خلعه ، واشتد فرحه به : كيف هو من أُمته ؟ ويشكر ربه على ذلك ، ثم يجعله نائبًا له في أمته ، ودليلًا وداعيًا لهم إلى باب الحق عز وجل .

كان هو الداعي والدليل ، ولما قبضه الحق عز وجل أقام له من أُمته من يخلفه فيهم ، وهم آحاد أفراد ، من كل ألفِ ألف واحد ، يدلون الخلق ، ويصبرون على أذاهم ، مع دوام النصح لهم ، يتبسمون في وجوه المنافقين والفساق ، ويحتالون عليهم بكل حيلةٍ حتى يخلصوهم مما هم فيه ، ويحملونهم إلى باب ربهم عز وجل »[(٣)] .

والدعوة تحتاج إلى مجاهدة النفس وإماتة الهوى ، لتحصل حياة الدعوة : « موتٌ ثم نشر ، ثم إذا شاء أنشرك له ، ردك إلى الخلق لتنظر في مصالحهم وتردهم إلى بابه ، تجيء لك القوة على مقاساة الخلق ، فتردهم عن ضلالهم »[(٤)] .

---

(١) وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي ٢/٩٧ .
(٢) الفتح الرباني ص٧ .
(٣) (٤) الفتح الرباني ٨٣ ، ١٠٧ .

التَّجرُّد الكامل للدعوة :

لا نجاح للدعوة ، ولا وصول للغاية ، إن أعطيناها فضول الأوقات، ولم ننس أنفسنا وطعامنا .

لا بد من التجرد الكامل والانغماس بكُلِّيَّتك في الدعوة ، حتى ينسى نفسه ، ويعود لا يرى إلّا من يدعوهم ، ولا يتكلم إلّا بما يفيد من يدعوهم ، فعالمه وكونه الفسيح لا يحوي شهوةً ولا منصبًا ، ليس في هذا الكون إلا الذين يباشر دعوتهم ، هم تجارته ، ولذته ، ومنصبه ، ونبض قلبه ووجيب صدره ، وقفٌ على الدعوة إلى ربه .

وشُغِلتُ عن فهْم الحديث سوى ... ما كـان عنـك فإنه شُغلـي
وأُدِيم نحو مُحدِّثي وجهي ليرى ... أنْ قد عقلتُ وعندكم عقلي

يقول الجيلاني : « يصير كأن لا نفس له ، ولا طبع ولا هوى ، ينسى طعامه وشرابه ولباسه ، يصير ناسيًا لنفسه ، ذاكرًا لخلْق ربه عز وجل ، يخرج بقلبه عن نفسه والخلق ، ويبقى بربه عز وجل ، كلّ طلبه نفع الخلق ، قد سلم نفسه إلى يد قضاء ربه عز وجل »[1] .

ويرحم الله الشيخ حسن البنا ، ما كان يدخل بيته إلّا ليُهيّىء متاعه لسفرٍ جديدٍ من أجل الدعوة ، رجته زوجه الانتظار ، وقد خشيت موت ابنه بعد شدة المرض به ، فقال لها : « إن جده يعرف طريق المقابر جيّدًا » .

الداعي عالي الهمة رجل عامّة :

الداعية الفذّ هو رجل العامّة .. يقصد العامة ، يتّصل بهم ويجالسهم ويعلمهم ، مثل سيرة سلفه الجهابذة .

كانوا أئمة للعامة ، يتصدون لإرشاد كل الناس ، فيتزايد حب القلوب

---

(١) الفتح الرباني ص٢١١ .

لهم ، ويرون فيهم القدوة الصحيحة التي لا مطعن فيها ، فيتبعونهم ، ويمتثلون أمرهم .

منهم إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ، رحمه الله :

فهذا الزاهد المشهور بشر بن الحارث الحافي ، رحمه الله ، يعدد ثلاث خصالٍ امتاز بها الإمام أحمد ، وفُضِّل بها عليه ، وقصر هو عنها ، أحدها : « أنه نصب إمامًا للعامة » .

لم يحمله علمه على حصر نفسه بين الجدران ، بل نزل إلى الجموع ، وقادها في مواقفها في معارضة الجهمية والمعتزلة الذين أرادوا حرف عقيدة الأمة ببدعة خلق القرآن ، ونازع الدولة كلها حين أرادت فرض البدعة بالقوة ، حتى نصره الله بالمتوكل . وإنما نعني بالعامة جمهور الناس ، المثقف منهم والأُمِّيّ ، لا الاصطلاح الحادث الذي يعني الجهال .

وقد كان إمام أهل السنة يترصد أخيار الرجال في المجتمع فيحتك بهم ، ويتعرف عليهم ، ويزورهم .

« كان إذا بلغه عن شخصٍ صلاحٌ أو زهد ، أو قيامٌ بحقٍّ ، أو اتباع للأمر : سأل عنه ، وأحبَّ أن يجري بينه وبينه معرفة ، وأحب أن يعرف أحواله »(١) .

نعم ، لا يكون رجل عامة إلا من فتش عن الناس وبحث عنهم ، وسأل عن أخبارهم ، ورحل للقائهم ، وزارهم في مجالسهم ومنتدياتهم .

وقد بلغ الإمام أحمد الغاية والمنزلة القصوى ، فقد كان « موسى بن حزام - شيخ البخاري والترمذي - في أول أمره ينتحل الإرجاء ، ثم أعانه الله بأحمد بن حنبل ، فانتحل السنة وذب عنها ، وقمع من خالفها ، مع لزوم الدين حتى مات »(٢) . « وهذه الكلمات تحوي من معاني الدعوة

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص٢١٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٣٤١/١٠ .

شيئًا كثيرًا

إن تغيير عقيدة موسى بن حزام لم يتمّ بالأماني المجردة ، فقد لزم الإمام أحمد أن يجلس معه المجالس ، مناقشًا له برفقٍ وسكينةٍ ، وحكمةٍ وموعظةٍ حسنة ، حتى استطاع صرفه عن بدعة الإرجاء ، ثم مجالس أخرى علمه فيها السنة ، ثم مجالس أخرى بعث فيه همةً عاليةً استمر معها حتى موته بالدفاع عن السنة ، وقمع مخالفيها من أهل البدع والشهوات .

إنه كذلك طريق الدعوة وسبيل خدمة الإسلام ، وكذلك كان سلفنا من دعاة الإسلام : لا بد لك من ترك زوجك وأولادك ، ومجالس الدنيا وهموم التجارة ، بضع ساعاتٍ في كل يوم ، تتوجه فيها إلى الله ، داعيًا أن يعين بك ضالًا من ضحايا الطواغيت فتهديه ، أو يعين بك يائسًا جامدًا ، يستهلكه الحزن على واقع المسلمين وتقيده همومه الدنيوية ، فتحركه وتغطه غطًّا .

إنها غطة العزم .

غط جبريل عليه السلام نبينا محمدًا ﷺ ثلاثًا في غار حراء ، في أول لحظات نبوته ، فضمه إلى صدره ضمًّا شديدًا ، ثم قال له : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ وغطَّ النبيُّ ﷺ ابن عمه عبد الله بن عباس ، فضمه إلى صدره ، وقال : « اللهم علمه القرآن » .

وغطّك الدعاة .

وعليك أن تغطَّ غيرك هذه الغطَّة الواجبة ، التي تضع حدًّا فاصلًا بين عهد الرخاوة ، وعهد حمل الأمانة بحزمٍ وعزمٍ ووفاءٍ .

لقد أعان الله - تعالى - بأحمد بن حنبل آلافًا من مثل موسى بن حزام ، وبهم استطاع أن يرد فتنة وكيد الجهمية والمعتزلة وينصر السنة ، فكم يا ترى سيعين الله بك اليوم من تردُّ بهم كيد الشرق والغرب »[1] .

---

(١) المنطلق ص١٢٧ - ١٢٩ .

قال ابن الجوزي : تاب علي يدي مائة ألفٍ ، وأسلم على يدي عشرون ألفًا .

الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام :

وصفوه بأنه كان « رجل عامّة »(١) .

يقول أبو إسحاق الفزاري : « ما رأيت مثل الأوزاعي والثوري ، فأما الأوزاعي فكان رجل عامة ، وأما الثوري فكان رجل خاصة ، ولو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي »(٢) .

« بلغ الثوري وهو بمكة مقدم الأوزاعي ، فخرج حتى لقيه بذي طوى ، فلما لقيه حل رسن البعير من القطار ، فوضعه على رقبته فجعل يتخلل به ، [ومالك بن أنس يسوق به] ، فإذا مرَّ بجماعةٍ قال : الطريق للشيخ »(٣) .

وأبو إسحاق الفزاري الإمام :

كان رجل عامَّة :

« قال إبراهيم بن سعيد الجوهري : قلت لأبي أسامة : أيهما أفضل : فُضيل بن عياضٍ أو أبو إسحاق الفزاري ؟ فقال : كان فضيل رجُلَ نفسه ، وكان أبو إسحاق رجل عامةٍ »(٤) .

الله أكبر : « الفضيل بن عياض » الذي كان ابن عيينة يقبل يده ، الفضيل : سيد المسلمين في وقته ، كما يقول ابن تيمية ، الفضيل الذي قال

---

(١) تهذيب التهذيب ٢٤١/٦ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١١٣/٧ .
(٣) سير أعلام النبلاء ١١٢/٧ ، والبداية والنهاية ١١٦/١٠ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٥٤٣/٨ .

فيه ابن المبارك : « إذا نظرت إلى فضيل : جدد لي الحزن ومقت نفسي » .
ومع هذا يعلوه مرتبةً الفزاريُّ في رأي أبي أسامة ؛ لأنه كان رجل عامة .

« قال ابن مهدي : كان الأوزاعي والفزاري إمامين في السنة .

وقال أبو حاتم : اتفق العلماء على أن أبا إسحاق الفزاري إمامٌ يقتدى به بلا مدافعةٍ .

يروى أن هارون الرشيد أخذ زنديقًا ليقتله ، فقال الرجل : أين أنت من ألف حديثٍ وضعتها ؟ قال : فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك يتخلَّلانها ، فيخرجانها حرفًا حرفًا .

قال أبو صالح الفراء : لقيت الفضيل بن عياض ، فعزاني بأبي إسحاق وقال : ربما اشتقت إلى المصيصة ، ما بي فضل الرباط إلا أن أرى أبا إسحاقٍ ، رحمه الله »[(١)] .

« وهو الذي أدب أهل الثغور الإسلامية التي في أعالي بلاد الشام والجزيرة تجاه الروم ، وعلمهم سنن النبي ﷺ ، وكان يأمر وينهى ، وإذا دخل الثغر رجلٌ مبتدِعٌ ، أخْرَجَهَ »[(٢)] .

وخالد بن عبد الله الواسطي :

أحد المحدثين الثقات من شيوخ البخاري ، وصفوه بأنه كان « رجل عامة »[(٣)] .

والإمام الزهري زعيم المحدثين :

ربَّى أجيالًا من أهل الحواضر الإسلامية ، وجعلهم أئمة في الحديث ،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٥٤١ - ٥٤٣ .

(٢) تهذيب التهذيب ١/١٥٢ .

(٣) تهذيب التهذيب ٣/١٠٠ .

وما كان ذلك يكفيه ، بل « كان ينزل بالأعراب يعلمهم » ، يحفظ من بقي صحيح العقيدة ، ويتلطف مع من نجح أهل البدع في جرفه، فيرجعه إلى التوحيد .

وجدد آخرون سيرة الزهري ، منهم الفقيه الواعظ أحمد الغزالي ، أخو الإمام صاحب الإحياء ، فإنه كان « يدخل القرى والضياع ، ويعظ لأهل البوادي تقرُّبًا إلى الله »[1].

الانخلاع عن الفردية والتعاون على البر والتقوى من علوّ الهمة في الدعوة :

أخي : « ألست تبغي القرب منه ؟

فاشتغل بدلالة عباده عليه ، فهي حالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أما علمت أنهم آثروا تعليم الخلق على خلوات التعبد ؛ لعلمهم أن ذلك آثر عند حبيبهم ؟ »[2] .

فواصل الخطو على دربهم تصل ، قال تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتَّبَعَني** ... ﴾ الآية [يوسف : ١٠٨] وهذا من أثمن النصوص في التعاون على البر والتقوى .

قال تعالى : ﴿ **وكأيِّن من نبيٍّ قاتَلَ معه ربِّيُّون كثيرٌ** ... ﴾ الآية [آل عمران : ١٤٦] .

قال ابن القيم : « فالرِّبِّيُّون هنا : الجماعات ، بإجماع المفسرين ، قيل : إنه من الرِّبَّةِ ، بكسر الراء : وهي الجماعة . قال الجوهريُّ : الرِّبِّي واحدُ الرِّبِّيين ، وهم الألوف من الناس »[3].

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٦٢/٦ ، المنطلق ص١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي ص٣٨ .

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١٥٤/١ .

وورثة هذا النبي له وأولئك الأنبياء ، لهم أُسوة حسنة بهم ، لا يتفردون ، بل يسيرون ألوفًا .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية الذي سبق عصره ، الفقيه العظيم الذي سَبَرَ المقاصد العامّة لدين الله : « وأما لفظ « الزعيم » فإنه مثل لفظ : الكفيل والقبيل والضَّمِين ، قال تعالى : ﴿ **ولمَنْ جاء به حِمْلُ بعيرٍ وأنا به زعيم** ﴾ [يوسف : ٧٢] فمن تكفل بأمر طائفةٍ فإنه يقال : هو زعيم . فإن كان قد تكفل بخيرٍ ، كان محمودًا على ذلك ، وإن كان شرًّا ، كان مذمومًا على ذلك .

وأما « رأس الحزب » فإنه رأس الطائفة التي تتحزب ، أي تصير حزبًا ، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ ، فهم مؤمنون ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا ، مثل التَّعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل ، والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم ، سواء كان على الحق أو الباطل ، فهذا من التفرق الذي ذمَّه الله تعالى ورسوله ، فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ، ونَهَيَا عن الفرقة والاختلاف ، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ، ونَهَيَا عن التعاون على الإثم والعدوان »[1] .

نعم للتعاون على البر والتقوى ولا للتحزُّب المفرق ، لا بد أن يكون ولاء الداعية لله ورسوله ﷺ فوق أي شعارٍ ، وإلا فدعوها فإنها منتنة .

الداعي عالي الهمة من يقول : ها أنا ذا :

وسط رياح الجاهلية التي تصفر صفيرًا شديدًا في ديار المسلمين الخالية ، لا بد من وجود الداعي عالي الهمة ، الذي يصرخ بالمسلمين

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٩٢/١١ .

مُستنهضًا ، فيعلو هتافُه على صفيرها ، يهدر بنشيد الإسلام الجديد الذي يشوق المسلمين سماعُه ... يعرف طريق العودة الصحيح ، ويفقه واقع المسلمين ، ويعلم سنن الله في الكون ، ويعلم دينه جيّدًا ، يدق صدره ويعلي صوته ليسمعه المسلمون ، ويقول : ها أنا ، فيلتفون حوله ويميّزون صيحته ونبرة تكبيره .

في مثل فترات الذُّهول التي تعيشها الأمة ، وغيبوبتها عن إدراك ذاتها ، الأمة بحاجةٍ إلى داعٍ يقول : « ها أنا » تعني إدراك الطريق الصحيح ، الذي يبدأ من تربية الفرد على معاني العقيدة الإسلامية الصافية ، فالأمة تولد من دعوة رجلٍ واحدٍ فقيهٍ ذي همة ، كما قال إقبال في ديوانه « الأسرار والرموز » ص١٠٨ : « تُولد الأمة من قلب جليل » .

صفاء عقائديّ وتجرُّد سلوكي .

« لا بد من طليعةٍ تعزم هذه العزمة وتمضي في الطريق » .

البعث الإسلامي والعودة الإسلامية « إنما تتحقق بأن تحمل المنهج جماعةٌ من الدعاة تؤمن به إيمانًا كاملًا ، وتستقيم عليه بقدر طاقتها ، تجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم كذلك »[١] .

« وهذه الطلائع هي الطلائع الموفقة الفائزة ، التي سيندم من لم يلتحق بها منذ الآن ، وسيتوجع كما توجع الصحابي ذو الجوشن الضبابي رضي الله عنه ، حين لم يسلم إلا بعد فتح مكة ، وقد كان رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام بعد بدر ، فقال له : هل لك إلى أن تكون من أوائل هذا الأمر ؟ قال : لا . قال : فما يمنعك منه ؟. قال : رأيت قومك كذبوك وأخرجوك وقاتلوك ، فانظر ، فإن ظهرت عليهم آمنت بك واتبعتك ، وإن ظهروا عليك

---

(١) « هذا الدين » لسيد قطب ص٧ .

لم أتبعك ، فكان ذو الجوشن يتوجع على تركه الإسلام حين دعاه إليه رسول الله ﷺ .

وكم من أناسٍ لا يعدو منطقهم منطق ذي الجوشن ، يدعوهم واقع الدعوة الإسلامية إلى أن يكونوا الأوائل والمقدمة والنُّبلاءَ والقادة ورأس النَّفِيضة ، فيأبون إلّا أن يكونوا مؤخرة ، وكم من إصبعٍ سيعضّ ندمًا يوم يختار الله الطلائع السائرة لإتمام نوره »[(١)] .

« إن لأفراد المسلمين وللدعاة أُسوةً وقدوةً في الحوار الشريف بين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، حين أمر الله إبراهيم ببناء الكعبة . قال إبراهيم عليه السلام : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمرٍ . قال : فاصنع ما أمرك ربي . قال : وتُعِينني ؟ قال : وأُعينك .

فهذا جواب المؤمنين دومًا بلا تلكُّؤٍ ولا تلعثم ، وإن الله قد أمر بنشْر دينه وإعادة حكمه ، ويجب أن تكون هذه الأعوان غير متخلفة ، وامض وبادر ، وكن وريث إسماعيل ، لا تقعد في بيتك ، لا تسمع نداء مستقبلك الوظيفي والتجاري ، فهنا في هذه الإجابة الإسماعيلية رأس مالك الحقيقي »[(٢)] .

لقد بكى رسول الله ﷺ عند قتل حمزة ، وقال : « ولكن حمزة لا بواكي له » . ألا مِنْ رجلٍ يحمل همَّ الإسلام في غربته ، ودعوة الإسلام ، أو يندب النادب ويقول : « ولكن الإسلامُ لا بواكي له » . يا له من دينٍ لو أن له رجالًا .

إن الدعوة إلى الله لا تقوم على أكتاف ضعفاء ليس لهم إرادة ولا همّة ... لا تزداد بأن نجمع ونضمّ أصفارًا بعضها إلى بعض .

---

(١) المنطلق ص١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) المنطلق ص١٦٧ - ١٦٨ .

لا بد من تربية الأفراد والدعوة .. وقلوب تضيء للسالكين وتتوقد شوقًا للعمل لدين الله .

قلوب الأحرار ، لا أنوار الثُّريّات ، نار العزم لا غيرها .

تنصب خيمتك في صحراء جاهلية القرن العشرين ، وتضرم نارك ليراها التائهون والمنقطعون فيقصدونها وينزلون خيمتك ، وتنادي ابنتك لُبَيْنى لتزيد لهب النار وتعلمها :

يا لُبَيْنَى أوْقِدِي طال المدى	أوقدي علَّ على النار هُدَى
أوقدي يا لُبْنَ قد حار الدليلْ	أوقدي النار لأبناء السبيلْ
ارفعي النار وأذْكِي جَمْرها	علّ هذا الرَّكْب يعشو شطْرَها
شردي هذا الظلام الجاثما	أرشدي هذا الفَرَاش الهائما
حبَّذَا النار بلَيْلٍ تُوقَدُ	حبّذَا المُؤْنِس هذا الموقِدُ
حبذا عندك هذا النُّزُلُ	لو حوانا في سِفارٍ منزلُ
ما لِذَا المنزل قد سار الفريقْ	إنما النيران أعلام الطريقْ
زوِّدينا بهُيامٍ ووَجيبْ	زوّدي يا لُبْنَ من هذا اللَّهِيبْ[1]

أوجه الخير ووسائل الدعوة كثيرةٌ لا نحقرها ، وكيف وقد أعلى من قدرها رسول الله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا »[2] ، وقوله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة ، والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله »[3] .

---

(١) لعزام من قصيدة « اللمعات » التي ألحقها بترجمته لديوان « رسالة المشرق » لإقبال .

(٢) رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي عن سهل بن سعد .

(٣) صحيح : رواه الطبراني في الأوسط عن عائشة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٤٧٦) .

وبناء المساجد والمدارس والمصانع وحفر الآبار ، وأولى من هذا كله مصاولة الابتداع وأعداء الإسلام ، وكشف زيف الماسونية والعلمانية والزنادقة ، ونشر العلم والسنة أولى وأولى .

فقد جاء زهير بن أبي زهير تلميذ الإمام أحمد بن حنبل يسأله : « إن فلانا ربما سعى في الأمور ، مثل المصانع والمساجد والآبار ؟ قال : فقال لي أحمد : لا، نَفْسُه أولى به . وكره أن يبذل الرجل نفسه ووجهه »[(١)] .

فهناك بونٌ وبُعد شاسع بين الجهدين :

جهد السعي المجرد في مصالح الناس مهما أتعب البدن .

وجهد مواكبة الدعوة في شموها مواكبةً تستهلك البدن ، وتُرهق الفكر ، وتمتصّ رحيق الروح .

الداعي عالي الهمة يرفع للخير رايةً ، وينوي المرابطة للدعوة :

نعم يا أخي ، ارفع للخير راية ، تكبيرًا ينبّه ونارًا تلفت ، يبصرها أهل الخير فيتجمعون حولها ، فالجاهلية إن نظمت صفوفها ﴿ **فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفًّا** ﴾ فأحرى بدعاة الحق والإسلام التجرد المطلق له ، إن في الناس نزعاتٍ للحق كامنة ، وعاطفة للإسلام مستسِرَّة ، فاصبر لدعوة الإسلام ، وانوِ المرابطة ، فهذه أرض الإسلام لا تترك لغيره .

شأن الداعية الحرّ دومًا أن يصير على المقام والدعوة في دار الإسلام وإن علا صوت الباطل فيها ؛ ليلتقط من مجتمع مُسْتَخْزٍ فتيانًا صباح الوجوه والمقاصد ، لم يُصب قلوبهم وأبدانهم شيءٌ من دنيس الجاهلية وأمراضها وحرامها ، ويربّيهم ويغرز فيهم العمل لدعوة الإسلام وعزّه .

---

(١) طبقات الحنابلة ١/١٥٩ .

« نعم في المجتمع المستخزي الذي طال خضوعه للطغيان تجد : النفس تميل إلى الإسفاف ، وتخلد إلى الراحة ، وتهوى الهيّن من كل أمر .

ولكن في النفس - على هذا - نزوعًا إلى العلاء وشغفًا بالارتقاء ، وحنينًا إلى المكارم ، وشوقًا إلى العظائم .

إن فيها لجمرةً يغطّيها الرماد ، وشرارة يقدحها الزّناد ، فإن وجدت نافخًا في جمرها ، وقادحًا لشررها ، استيقظت ، وتحفزت ، وعملت ، وصعدت ، وكلما ذاقت لذة العمل والرقي ، زادت حبًّا له ، وهيامًا به »(١) .

ولهذا فإن المهاجر مخطيء ، إلا هجرة صاحب سرٍّ يخشى عليه ، أو هجرة صاحب فقه إلى من يحتاج إليه ، أو هجرة من يخشى الفتنة في دينه .

نُرابط في ديار الإسلام التي فتحها عمرو ، وعاش فيها الشافعي ، ونشأ بها الليث ، وأخرجت العسقلاني والطحاوي والسيوطي .

بلاد الليث مأوى الشافعيّ   أنتركها لفِكْر المارقينا
سيوطيُّ الحديث يَنُوحُ يبكي   وحافِظُنا يُجاوِبُه أنينا
ينادي العسقلاني يا بلادي   أضعت الهَدْيَ كنّا حافظينا
فيا فسطاطَ عمرو العاصِ عودي   يعود الطير كم نزح السنينا

عن سهل بن سعد : قال ﷺ : « رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها ... ». رواه البخاري وأحمد والترمذي .

أخي : إن الأرض لا تقدِّس أحدًا ، وإنما يقدس العبد عمله كما قال سلمان لأبي الدرداء:... إنما تقدّسنا الدعوة والمرابطة عليها في ديار الإسلام .

---

(١) دراسات إسلامية لسيد قطب ص٢٩ ، والمنطلق لمحمد أحمد الراشد ص١٩٠ ، ١٩١ .

لم نعرف الإسـلام إلّا دعوةً وضّاءةً تُحيي الأنام وتُلهـمُ

قيل لأحد فحول الرجال : « لنا حُوَيْجة » ، فقال : « اطلبوا لها رُجَيْلًا » . فالرجيل تشبع نفسُه بعمل اليسير ، أما الرجل فهو من كانت همته عالية ، قد رصد نفسه لضخام الأعمال ، ويأنف من صغارها .

وإن هذه الدعوة – والله – لهي شأن الرجال حقًّا الذين يضم سِربُهم كل مقدام ، أما أهل السكوت والخرس فليس فيهم إلّا رويجل .

قالوا : السعادة في السكو ن وفي الخمول وفي الخمودْ
في العيـش بين الأهـل لا عيشَ المهاجـر والطريـد
في المشي خلف الرَّكْب في دعـةٍ وفي خَطْـوٍ وئيـد
في أن تقـول كمـا يُقـا لُ فَلَا اعتـراض ولا رُدُود
في أن تسيـر مع القطيـ ـعِ وأن تُقـاد ولا تقـود
في أن تصيـح لكـل وا لٍ عاش عهدُكـمُ المجيـد
قلتُ : الحيـاة هي التّحـرك لا السُّكُون ولا الهمـود
قلت : السعـادة أن تُبـلِّـغ دين ذي العرش المجيد(*)
وهـي التَّلـذُّذ بالمتـاعـبِ لا التَّلذّذ بالرقـود[1] .

الدعوة لدين الله بيعة قديمة مع الله :

قال تعالى: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبيِّين لَمَا آتيتُكم من كتابٍ وحكمةٍ ثم جاءكم رسولٌ مصدِّق لما معكم لتؤمنُنّ به ولتنصرُنّه قال أأقررتمْ وأخذتم على ذلكم إصْري قالوا أقرَرْنا قال فاشهدُوا وأنا معكم من الشاهدين**﴾. [آل عمران: ٨١].

قال ابن عباس : « ما بعث الله نبيًّا إلّا أخذ عليه الميثاق ، لئن بُعث محمدٌ وهو حَيّ ليؤمنَنَّ به ولينصُرَنّه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أُمّته ؛ لئن بُعِث محمدٌ وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه » .

(١) قصيدة للقرضاوي سوى هذا البيت المشار إليه بالعلامة * .

وإذن فالبيعة علينا نحن الآن من ورثةِ محمدٍ ﷺ أوجبُ وأظهر ، إلزامًا وأولويّة .

وقال الله تعالى : ﴿ **لتؤمنوا بالله ورسوله وتُعزِّروه وتوقّروه وتسبحوه بُكرةً وأصيلًا** ﴾ .

فالدعوة إلى الله ونصرة رسوله بيعةٌ مع الله وعهدٌ معه ، ورحم الله الزاهد جعفر الخلدي البغدادي حين قال : « ما عقدتُ لله على نفسي عقدًا فنكثتُه »[١] للدعاة في عهودهم سمت الوفاء ، فهل نوفي لله بعهده وبيعته .

كان ابن المبارك يتمثّل ببيتين كلّما خرج لصالحةٍ ، فيقول :

بُغض الحياة وخوف الله أخرجني ... وبيع نفسي بما ليست له ثمنَا
إني وزنتُ الذي يبقى ليَعْدِلَه ... ما ليس يبقى فلا والله ما اتّزَنا[٢]

يا لها من صرخةٍ في المشرق كان ابن الجوزي إمام الدعاةِ يمدُّ بها صوته على شاطىء دجلة ببغداد ويهتف : « أوّل قدمٍ في الطريق : بذل الروح ، هذه الجادّة ، فأين السالك »[٣].

وقالها رُويم البغدادي: «هو بذل الروح ، وإلّا فلا تشتغل بترهات»[٤].

نعم ، بذل الروح للدعوة لدين الله .

الداعية عالي الهمة ليس من أصحاب العقول المستريحة :

قال أحمد بن داود أبو سعيد الواسطي : « دخلت على أحمد الحبس

(١) تاريخ بغداد ٧/٢٢٩ .
(٢) تاريخ بغداد ١٠/١٦٦ .
(٣) المدهش لابن الجوزي ص٢٩٩ .
(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ١٨٣ .

قبل الضرب ، فقلت له في بعض كلامي : يا أبا عبد الله : عليك عيال ، ولك صبيان ، وأنت معذور . كأني أسهل عليه الإجابة ، فقال لي أحمد ابن حنبل : إن كان هذا عقلك يا أبا سعيد ، فقد استرحت »[١] .

وما أكثر ما يقال مثل هذا للدعاة اليوم ، وما أكثر من يفهم الإسلام ثم يحدّث نفسه بمثل هذا ، فيجبن وينزوي ولا يُشارك الدعاة سيرهم . وإنما هو حديث من استراح ، كما يقول الإمام أحمد ، وأما من لدغ واقع المسلمين قلبه ، فأنى له الراحة ؟! وأنى يدع لصبيانه وزوجه تخذيله وتقييده عن الاندفاع للدعوة لدين الله ؟ وهل الموت إلّا في آجالٍ ؟ إن عهد الدعوة لن يقدم أجلًا ولكنه يرفع إلى الفراديس .

فإن لم يكن المسلم مع أحمد ، أو مع وَرَثة أحمد ، وقعد لعذرٍ أو شبه عذرٍ ، فإنه مطالبٌ بالأسف وازدراء نفسه على الأقل ، ألّا يكون مع القوم الدعاة العاملين ، كما قيل للزاهد بشر بن الحارث الحافي يوم تعذيب أحمد بن حنبل : « قد ضرب أحمد بن حنبل إلى الساعة سبعة عشر سوطًا . فمدّ بشر رجْله وجعل ينظر إلى ساقيه ويقول : ما أقبح هذا الساق أن لا يكون القيد فيه نُصرةً لهذا الرجل »[٢] .

إن المسلم الصادق إنْ عذر نفسه وأفتاها بالتخلف عن ركب الدعاة ، خوفًا من الفتنة ، وبطش الطغاة « أو لنوع ضرورةٍ أو ضعفٍ يدريه من نفسه ، أو شبهةٍ ، عرف ما يوجبه ذلك من التواضع وترك التطاول على الدعاة ، ويظل يتهم نفسه في اجتهاده ، ويمنح الصابرين المقتحمين المتجردين للدعوة لسانًا جميلًا ، يكون لهم فيه نوع سلوةٍ وراحة ، وأما أسير هواه فيجادل ويثرثر ، ويقذف لسانه بكل لفظٍ صلب ، ألّا يوصف بتخلُّفٍ ،

---

(١) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ٤٣/١ .

(٢) مناقب أحمد ، لابن الجوزي ص١١٩ .

فيجمع بجداله نقصًا إلى نقصٍ ، والعياذ بالله »[1] .

ليس على الداعية غير البلاغ :

عجبتُ لهم قالوا : تماديت في المنى ... وفي المثل العليا وفي المرتقى الصعبِ
فاقصُر ولا تُجهد يَرَاعَك إنما ... ستَبْذرُ حَبًّا في ثرًى ليْسَ بالخصْبِ
فقلتُ لهمْ مهْلًا فما اليأسُ شيمتي ... سأَبْذر حَبِّي والثِّمارُ منَ الربِّ
إذا أنا أبلغتُ الرسالة جاهـدًا ... ولم أجدِ السمعَ المجيب فما ذنبي[2]

يقول سيد قطب عن الدعاة : « أُجَرَاء عند الله ، أينما وحيثما وكيفما أرادهم أن يعملوا ، عملوا وقبضوا الأجر المعلوم ! وليس لهم ولا عليهم أن تتجه الدعوة إلى أيِّ مصير ، فذلك شأن صاحب الأمر ، لا شأن الأجير »[3] .

﴿ واجعلنا للمتقين إمامًا ﴾ :

قال ابن القيم في « الروح » ص٢٥٢ : « ذكر سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه ، وأثنى عليهم في تنزيله ، وأحسن جزاءهم يوم لقائه ، فذكرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم ، ثم قال : ﴿ **والذين يقولون ربّنا هَبْ لنا من أزواجنا وذُرِّيّاتنا قُرَّة أعينٍ واجعلنا للمتقين إمامًا** ﴾ [الفرقان : ٧٤]. فسألوه أن يُقِرَّ أَعْيُنَهم بطاعة أزواجهم وذرياتهم له سبحانه ، وأن يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته وعبوديته » .

الداعي عالي الهمة لا تشغله الدعوة عن عبادته :

لا بد من التوازن بين حق النفس من التربية والعبادة ، وبين حق

---

(١) المنطلق ص٢٣٣ .

(٢) للقرضاوي- مجلة «المباحث المصرية» عدد ٣١ سنة ١٩٥١ ، المنطلق ص٢٣٧ .

(٣) معالم في الطريق ص١٨١ .

المدعوين ؛ فإن الداعي قد ينغمس بكل خلجة فيه إلى تربية الذين يدعوهم وينسى نفسه ، قال ﷺ : « مثل الذي يعلّم الناس الخير وينسى نفسه ، كمثل السّراج يُضيء للناس ويحرق نفسه »(١) .

قال ابن المنكدر : « العلم يهتف بالعمل ، فإن أجابه ، وإلّا ارتحل » .

فلا بد على الداعي أن يأخذ بالقسط الوافر من العلم والعبادة ؛ من قيامٍ وصيام وذكر ، وإلّا قسا القلب .

الربانية على نهج السلف علو همّة ، والأسوة هي علم الدعْوة :

باطلٌ ظنّ مَن يتوهم عدم وجوب شرط القدوة ، كيف وقد قال الله تعالى : ﴿ **ولكنْ كونوا رَبّانِيِّين بما كنتم تُعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

قال مجاهد : هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره ، فهم أهل الأمر والنهي .

قال ابن تيمية : « وذلك هو المنقول عن السلف في الرباني : نقل عن عليٍّ قال : هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها . وعن ابن عباس قال : هم الفقهاء المعلّمون . وقلت : أهل الأمر والنهي هم الفقهاء المعلّمون . وقال قتادة وعطاء : هم الفقهاء العلماء الحكماء .

قال ابن قتيبة : واحدهم رَبّانِي ، وهم العلماء المعلّمون ... » . ثم ختم فقال : إنهم « منسوبون إلى التربية »(٢) .

قال ابن تيمية : (٥/٦١) : إن الرباني منسوب إلى الرَّبّ ، فزيادة الألف والنون كاللحياني ، وقيل : إلى تربية الناس ، وقيل : إلى رَبّان السفينة،

(١) إسناده صحيح . أخرجه الدارمي والترمذي وقال : حسن صحيح ، وقال الألباني : إسناده صحيح . انظر : اقتضاء العلم العمل ص١٦ ، ١٧ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦٣/١ .

وهذا أصح ، فإن الأصل عدم الزيادة في النسبة لأنهم منسوبون إلى التربية ، وهذه تختص بهم ، وأما نسبتهم إلى الرب فلا اختصاص لهم بذلك ، بل كل عبدٍ له فهو منسوب إليه .

وهي تدل على إيمانٍ وعبادةٍ وتَألُّهٍ .

قال ابن الحنفية لما مات ابن عباس : اليوم مات ربَّانِيُّ هذه الأمة ، وذلك لكونه يؤدِّبهم بما آتاه الله من العلم .

قال إبراهيم : كان علقمة من الرّبّانيّين .

وفي الربانيين :

قال سعيد بن جبير : حكماء أتقياء .

وقال الحسن : فقهاء علماء . وقال : لولا العلماء لصار الناس كالبهائم .

قال ابن القيم :

« وأولى الأقوال عندي بالصوُاب ، أنها جمع رباني ، وأن الرباني المنسوب إلى الربان الذي يربي الناس ، وهو الذي يصلح أمورهم ويربها ويقوم بها .

قال علقمة بن عبد :

وكنت امرأ أفْضَتْ إليك ربابتي وقَبْلَكَ ربّتني فضِعْتُ ربوبُ

ربتني : ولي أمري والقيام به قبلك من يربه ويُصلحه .

رب أَمري فلان فهو يربه ربًّا وهو رابه ، فإذا أُريد به المبالغة في مدحه قيل : هو ربان » .

وعلى أساس التربية الإسلامية الصافية من نبع الكتاب والسنة بفهم السلف وذوقهم يكون المدح ، وإلّا فالربانيون يذمون تارة ويمدحون تارة ، والخلفاء أفضل ولم يسموا ربانيين .

فكل قدوة ومرب على غير فهم السابقين نقول له : « اقصد البحر وخل القنوات » . فحينئذٍ يشع النور ، ويهتدي المدعو برؤية الداعي قبل كلامه .

« لما هم إمام مصر الليث بن سعد بفعل مفضول ينافي العزيمة ، قال له يحيى بن سعيد الأنصاري : لا تفعل ؛ فإنك إمامٌ منظورٌ إليك » .

ويرحم الله من قال : « من لم تهذبك رؤيته ، فاعلم أنه غير مهذب ، ومن لم ينعشك عبيره على بعدٍ ، فاعلم أنه لا طيب فيه ، فلا تتكلف لشمه » .

والداعية الصادق تستمر هيبته الإيمانية في تعاظم ، وتظل في تصاعد ما تصاعدت هيبته لله تعالى وتعاظمت اهتمامات قلبه بدعوته ، حتى يغدو منظره قاطعًا لغفلة ناظره .

وقال الشافعي : من وعظ أخاه بفعله كان هاديًا .

وكان عبد الواحد بن زيد يقول : « ما بلغ الحسن البصري إلى ما بلغ ، إلا لكونه إذا أمر الناس بشيءٍ ، يكون أسبقهم إليه ، وإذا نهاهم عن شيءٍ ، يكون أبعدهم منه » . وقد قيل : « من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه »[1] .

نعم : من لا ينتفع بصمت العالم لا ينتفع بعلمه .

« إن الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله أكثر مما يكلمهم بلسان قوله ، فإذا نظر الصادق إلى تصاريفه في مورده ومصدره ، وخلوته وجلوته ، وكلامه وسكوته ، ينتفع بالنظر إليه ، فهو نفع اللحظ ، ومن لا يكون حاله وأفعاله هكذا ، فلفظه أيضًا لا ينفع . ونورانية القول على قدر نورانية القلب ، ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق العبودية وحقيقتها » . وهذا من جيد الكلام .

---

(١) المنطلق ص٢٥٥ - ٢٥٦ .

ومثله من كلام التابعين قول شهر بن حوشب : « إذا حدث الرجل القوم ، فإن حديثه يقع من قلوبهم موقعه من قلبه » .

وقال مالك بن دينار : « إن العالم إذا لم يعمل بعلمه ، زلت موعظته عن القلوب ، كما تزل القطرة عن الصفا » .

ويرحم الله الرافعي ، حيث قال : « إن الموعظة إن لم تتأد في أسلوبها الحي كانت بالباطل أشبه ، وإنه لا يغير النفس إلا النفس التي فيها قوة التحويل والتغيير ، كنفوس الأنبياء ، ومن كان في طريقة روحهم ، وإن هذه الصناعة إنما هي وضع نور البصيرة في الكلام ، لا وضع القياس والحجة ، وإن الرجل الزاهد الصحيح الزهد إنما هو حياة تلبسها الحقيقة لتكون به شيئًا في الحياة والعمل ، لا شيئًا في القول والتوهم ، فيكون إلهامها فيه ، كحرارة النار في النار ، من واتاها أحسها .

ولعمري ، كم من فقيه يقول للناس : هذا حرام ، فلا يزيد الحرام إلا ظهورًا وانكشافًا ، ما دام لا ينطق إلا نطق الكتب ، ولا يحسن أن يصل بين النفس والشرع ، وقد خلا من القوة التي تجعله روحًا تتعلق الأرواح بها ، وتضعه بين الناس في موضعٍ يكون به في اعتبارهم كأنه آتٍ من الجنة منذ قريب ، راجع إليها بعد قريب .

والفقيه الذي يتعلق بالمال وشهوات النفس ، ولا يجعل همه إلا زيادة الرزق بالمال وشهوات النفس ، وحظ الدنيا ، هو الفقيه الفاسد الصورة في خيال الناس ، يفهمهم أول شيءٍ ألا يفهموا عنه »(١) .

« إن الأسوة وحدها هي علم الحياة »(٢) .

ودعوتنا هي الحياة .

---

(١) ، (٢) وحي القلم للرافعي ٢/٢٠١ ، ٢/١١١ .

فالأسوة وحدها علم الدعوة .

وعلم الدعوة كله هو الأسوة الصادقة[١] .

أخي : إن الواو والراء والدال لا يشم منها رائحة الورد ، فكن بالخير موصوفًا ولا تكن للخير وصافًا .

« إن عمر بن الخطاب أبقى معه الأحنف بن قيس - وكان متكلمًا لبقًا داهية - في المدينة سنةً يراقبه ، ثم قال له : يا أحنف ، قد بلوتك وخبرتك ، فلم أرَ إلّا خيرًا ، ورأيت علانيتك حسنةً ، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك ، فإنا كنا نتحدث : إنما يهلك هذه الأُمّة كل منافقٍ عليمٍ »[٢] .

كم من المتكلمين بالإسلام ترى الدعاية ترفعه ، فإذا عاملته وجدته مصلحيًّا جافّ القلب والروح . وحقًّا قال عبد الوهاب عزام :

إن في الناس أوجُهًا لامعاتٍ تملأ العين زهـرة ورواءَ
ويراها البصير صورة زهـر لم تهبها الحياة عطرًا وماءَ[٣]

ولمثل هذا دأَبَ السلف الصالح على كثرة التوصية بضرورة مثل هذا الاختبار ، كقول الحسن البصري : « اعتبروا الناس بأعمالهم ، ودعـوا قولهم ، فإن الله لم يدع قولًا إلا جعل عليه دليلًا من عملٍ يصدقه أو يكذبه ، فإذا سمعت قولًا حسنًا ، فرويدًا بصاحبه ، فإن وافق قوله عمله فنعم ، ونعمة عَيْنٍ ، فآخِهِ ، وأحْبِبه ، وأوْدِده ، وإن خالف قولًا وعملًا ، فماذا يشبه عليك منه ، أو ماذا يخفى عليك منه ؟! إياك وإياه ، لا يخدعنك »[٤] .

---

(١) المنطلق ص٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٢) طبقات ابن سعد ٧/٩٤ .

(٣) ديوان المثاني ص٨١ .

(٤) الزهد لابن المبارك ص٢٦ .

« إنها الوصية القديمة ، ولكن القلوب تغفل ، وشهوة الوصول السريع ، أو شهوة التكاثر بالأنصار ، تلهي ، وتدعو إلى التجاوز عن العلم الموروث »[1].

عالي الهمة من الدُّعاة ليس هدفه التجميع القطيعي :

« من المزالق أن تسير الدعوة وراء رجل الشارع حريصةً عليه قبل حصول المقدار اللازم من الوعي الإسلامي والعدد الكافي من أصحاب التربية الصلبة .

إن المتولعين بالسياسة من الدعاة ، يريدون للدعوة أن تدخل في سباقٍ مع الأحزاب لاكتساب رجل الشارع ، والغوغاءِ ، والدهماء ، والمصفقين ، الذين هم مادة الأحزاب الجاهلية الأرضية وعنصر حياتها ؛ لأن هذه الأحزاب تستطيع أن تبدِّل وتحور برامجها وفق طلبات هؤلاء ، وتبعًا لاستهلاك السوق .

أما الدعوة الإسلامية ، فما بمثل هؤلاء تنتصر ، وما بمثل هؤلاء تغير مجرى الحياة.إن التجميع القطيعي ممكِنٌ ، لكنه لا يستمر طويلًا »[2] .

يقول الشيخ البنا : « التدرج في الخطوات وانتظار الزمن وعدم التسرع بالنتائج ، فلكل أجلٍ كتابٌ » . والزمن جزء من العلاج ، وهذا يقي الدعوة المصارع .

إن الطريق التربوي : صعب ... طويل ... بطيء . يسبقنا فيه الأرضيون لوقتٍ ... يسقط فيه بعضنا ... وتفوتنا بعض المغانم فيه ... لكنه طريقٌ مأمون ، ثابت ، مضمون .

طريق واحد أصيل لا ثاني له : « أقيموا دولة الإسلام في صدوركم .. تقم في أرضكم » .

---

(١) المنطلق ص٢٥٩ - ٢٦١ .

(٢) المنطلق ص٢٤٠ - ٢٤١ .

إنك واجدٌ كثيرًا من الدعاة الإسلاميين والجماعات الإسلامية ، يفنون أعمارهم وهم يلهثون وراء إقامة حُكم إسلامي ، أو المطالبة بدولة إسلامية ، فإذا حاققتهم ، وجدتهم غارقين في المخالفات الشرعية ، والأحوال الشركية ، والأفعال البدعية - إلّا من رحم ربي سبحانه - ناسين أو متناسين ، جاهلين أو متجاهلين « أنَّ قيام حكم إسلامي في أي بلدٍ لن يجيء عن مثل هذه الطرق ، وأنه لن يكون إلا بمنهجٍ بطيءٍ طويل المدى ، يستهدف القاعدة لا القمة ، ويبدأ من غرس العقيدة من جديد ، والتربية الإسلامية الأخلاقية ، وأن هذا الطريق الذي يبدو بطيئًا طويلًا جدًّا ، هو أقرب الطرق وأسرعها »[1] .

« إذ إن الوصول إلى تطبيق النظام الإسلامي والحكم بشريعة الله ، ليس هدفًا عاجلًا ؛ لأنه لا يمكن تحقيقه إلا بعد نقل المجتمعات ذاتها - أو جملة صالحة منها ذات وزن وثقل في مجرى الحياة العامة - إلى فهمٍ صحيح للعقيدة الإسلامية ، ثم للنظام الإسلامي ، وإلى تربية إسلامية صحيحة على الخلق الإسلامي ، مهما اقتضى ذلك من الزمن الطويل والمراحل البطيئة »[2] .

والخلاصة: «إن تحكيم الشريعة، وإقامة الحدود، وقيام الدولة الإسلامية واجتناب المحرمات وفعل الواجبات ؛ كل هذه الأمور من حقوق التوحيد ومكملاته ، وهي تابعةٌ له ، فكيف يعتنى بالتابع ويهمل الأصل ؟! »[3] .

التوحيد منطلق الدعوة إلى الله وغايتها :

أُسُّ الدعوة إلى الله التوحيد ، وزبدةُ رسالات الرسل .

---

(١) « لماذا أعدموني » . سيد قطب ص٦٧ .

(٢) « لماذا أعدموني » . سيد قطب ص٢٩ .

(٣) الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي ، لعلي حسن عبد الحميد ص٣٦ - ٣٧ ، دار الصحابة .

« التوحيد منطلق الدعوة إلى الله ، وغايتها ، فلا دعوة إلى الله بدونه ، مهما تسمت باسم من أسماء الإسلام ، وانتسبت إليه ، وذلك أن الرسل جميعًا ، وعلى رأسهم سيدهم وخاتمهم محمد ﷺ كانت دعوتهم إلى توحيد الله بدءًا وغايةً ونهايةً ، فكل رسول قال لقومه أول ما قال : ﴿ **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره** ﴾ »[1].

يقول الشيخ سيد قطب في الظلال (٢/٩٤٠، ٩٤١) : « إن دين الله ليس راية ولا شعارًا ولا وراثة !! إن دين الله حقيقة تتمثل في الضمير وفي الحياة سواء ، تتمثل في عقيدة تعمر القلب وشعائر تقام للتعبد ، ونظام يصرف الحياة ... ولا يقوم دين الله ، إلا في هذا الكل المتكامل ... وكل اعتبارٍ غير هذا الاعتبار تمييعٌ للعقيدة ، وخداع للضمير .

وصاحب الدعوة لا يكون قد بلغ عن الله إلّا إذا أبلغهم حقيقة الدعوة كاملةً ... وحين يجمجم صاحب الدعوة ويتمتم ولا يبين عن الفارق الأساسي بين واقع الناس من الباطل وبين ما يدعوهم إليه من الحق ، حين يفعل هذا صاحب الدعوة - مراعاةً للظروف والملابسات - يكون قد خدعهم وآذاهم .

إن التلطف في دعوة الناس إلى الله ، ينبغي أن يكون في الأسلوب الذي يبلغ به الداعية ، لا في الحقيقة التي يبلغهم إياها ... إن الحقيقة يجب أن تبلغ إليهم كاملةً ... أما الأسلوب فيتبع المقتضيات القائمة ، ويرتكز على قاعدة الحكمة والموعظة الحسنة » .

إن مصلحة الدعوة لا تكون في بعد الناس عن تعلم عقيدتهم ، أو بيان بدع الناس وما هم عليه من البعد عن السنة .

(١) من مقدمة الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق لكتاب « منهج الأنبياء » ص١١ .

يقول الشيخ سيد قطب ، رحمه الله : « إن كلمة « مصلحة الدعوة »[١] يجب أن ترتفع من قاموس أصحاب الدعوات ؛ لأنها مزلة ، ومدخل للشيطان ، يأتيهم حين يعز عليه أن يأتيهم من ناحية مصلحة الأشخاص .

ولقد تتحول « مصلحة الدعوة » إلى صنم يتعبده أصحاب الدعوة ، وينسون معه منهج الدعوة الأصيل .

إن على أصحاب الدعوة أن يستقيموا على منهجها ، ويتحروا هذا المنهج ، دون التفاتٍ إلى ما يعقبه هذا التحري من نتائج ، وقد يلوح لهم أن فيها خطرًا على الدعوة وأصحابها .

فالخطر الوحيد الذي يجب أن يتقوه هو خطر الانحراف عن المنهج لسببٍ من الأسباب ، سواء كان هذا الانحراف كثيرًا أو قليلًا ، والله أعلم منهم بالمصلحة ، وهم ليسوا بها مكلفين ، إنما هم مكلفون بأمرٍ واحدٍ : ألَّا ينحرفوا عن المنهج ، وألَّا يحيدوا عن الطريق »[٢] .

الدعوة إلى الله شرفٌ في الغاية ، طهارةٌ في الوسيلة :

الدعوة إلى الله وسيلة لإقامة العبودية في النفس ، ونشرها بين الناس ، وهي في نفسها عبادة .

والأصل في العبادات التوقف والبطلان حتى يقوم دليلٌ على الأمر . فلا مجال هِنا للتجارب الشخصية ، ولا للاجتهادات الفكرية ... بل المجال أبدًا مجال تعبُّد ، ليس للأقيسة والآراء فيه موضع !! فهو شرف في الغاية وطهارة في الوسيلة ، فلا يسوغ لنا أن نلبس الدعوة إلى الله لباس تنظيمٍ

---

(١) بدون الضابط الشرعي للمصالح والمفاسد .

(٢) في ظلال القرآن سيد قطب (٥/٦١٧) .

أجنبيٍّ عنها ، واستفراغ الجهد فيه ، مما يؤول بالهدم والإسقاط لأصول الدعوة وبنيتها الأساسية .

فالدعوة تتكون من وسيلة وغاية : حقيقة الدعوة أمر ثابت لا يتغير بتغير الأزمان والمكان والأحوال ، والأصل في وسائل نشر الدعوة كذلك التوقيف على منهاج النبوة ، إذ « كل ما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادةٌ »[1] .

والوسائل للدعوة هي في عصرنا – وفيما قبله وبعده – لا بد أن تكون هي وسائل الدعوة التي بعث بها النبي ﷺ ، وبلغ فيها الغاية ، ولا تختلف في عصرنا مثلًا إلّا في جوانب منها مرتبطة بأصولها التوقيفية . ولكن هذا التغيير مأسورٌ بمضمار الشرع ، موزون بمقاييس الكتاب والسنة ، فمتى اختل شيءٌ منه ، وجب إبعاده ، والبراءة منه .

أمّا وسيلة محدثة يتعبد بها فلا ، إذ « طريق الدعوة طريق واحد سار عليها رسول الله ﷺ وصحابته من قبل ، وسار الدعاة ، ونسير عليها بتوفيقٍ من الله من بعد ، إيمان وعمل ، ومحبة وإخاء »[2] .

هذه نصيحتنا للذين يدعون إلى الله ولا يقدمون بين يدي الله ورسوله ، ليس للمخذولين ولا للمتخاذلين ولا للناكصين ولا للمتحمسين الفارغين .

إلى الذين لا يستريبون قيد شعرةٍ بصدق وحقيقة قول نبيهم ﷺ : « تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك » ... عملًا لا ادعاءً ، تطبيقًا لا أماني خياليةً ، فيعلمون أنها المحجة ... وبها

---

(١) العبودية لابن تيمية ص٦٦ .

(٢) الدعوة إلى الله لعلي حسن عبد الحميد ص٤٧ – ٤٨ .

الحجة ، فلا عاطفة تحرفهم ، ولا واقع يزيغهم ... غايتهم السامية العمل بطاعة الله ... رجاء رحمة الله ... على نورٍ من الله .

لا تحك رأسك إلا بأثر :

« إن استطعت أن لا تحك رأسك إلّا بأثر ، فافعل » .

قال أبو العالية : « عليكم بالأمر الأول ؛ الذي كانوا عليه قبل أن يتفرقوا » .

قال عاصم الأحول : فحدثت به الحسن البصري فقال : « قد نصحك والله وصدقك » .

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أنه قال : « كنا نأتي زيد بن صوحان ، فكان يقول : يا عباد الله ، أكرموا ، وأجملوا ؛ فإنما وسيلة العباد إلى الله بخصلتين : الخوف والطمع . فأتيته ذات يوم وقد كتبوا كتابًا ، فنسقوا كلامًا من هذا النحو : إن الله ربنا ، ومحمد نبينا ، والقرآن إمامنا ، ومن كان معنا كنا وكنا ، ومن خالفنا كانت يدنا عليه وكنا وكنا . قال : فجعل يعرض الكتاب عليهم رجلًا رجلًا ، فيقولون : أقررت يا فلان ؟ حتى انتهوا إليّ ، فقالوا : أقررت يا غلام ؟ قلت : لا ! قال - يعني زيدًا -: لا تعجلوا على الغلام ، ما تقول يا غلام ؟ قلت : إن الله قد أخذ علي عهدًا في كتابه ، فلن أُحْدِث عهدًا سوى العهد الذي أخذه علي . فرجع القوم من عند آخرهم ، ما أقر منهم أحد ، وكانوا زهاء ثلاثين نفسًا »[(١)] .

وهذه قصة عجيبة تبين كيف كان فهم السلف - رضوان الله عليهم - للعمل الجماعي ، وأنه لا يخرج في شكلٍ ولا مضمونٍ عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وليتعلم منها الدعاة أن الأعمال الشرعية والأقوال الدينية ، يجب أن توضع في قالبها الشرعي ، دون أي شيءٍ مما هو حادث مما لا دليل

---

(١) حلية الأولياء (٢/٢٠٤) ، وسير أعلام النبلاء (٤/١٩٢) بسند صحيح .

عليه . فأين من هذا مما يسمونه البديل الإسلامي ، والمسارح الإسلامية ؛ التبعية والتقليد المناقض لأصول الشخصية الإسلامية في وضوحها واستقلالها ، بَدَلًا من التحايل والتمييع وتتبع الرخص والزلات و « عصرنة الإسلام » .

وليتعلم الدعاة منها : سماع الحق من أي إنسانٍ كان ، سواء أكان صغيرًا أم كبيرًا ، طالما أن الحجة معه والدليل يرافقه ، وأن الكثرة أو القلة ليست معيارًا للخطأ والصواب .

ولتعلم يا أخي أن العمل الجماعي - بصفته السنية - والتعاون على البر والتقوى ، ذو ثمرةٍ جليلة ، أما ما يشم منه رائحة تحزُّبٍ أو افتراقٍ عن الأُمة بشكلٍ أو مضمونٍ ، فلا .

يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٥/٢٨ - ١٦) : « وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ، ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء ، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى » .

ويقول رحمه الله (٥١٢/١١) : « وليس لأحدٍ أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعته ، ويعادي على ذلك ، بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان ، وما عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم ، ولا يخص أحدًا بمزيد موالاةٍ ، إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه ، فيقدم من قدم الله تعالى ورسوله عليه ، ويفضل من فضل الله ورسوله » .

علو الهمة في دعوة غير المسلمين للإسلام .

رَجُلٌ يُسلم على يديه أربعةُ آلافٍ من الأجانب :

هذا الرجل المبارك الأُمّة المهندس محمد توفيق بن أحمد مؤسس « دار تبليغ الإسلام » أثناء إقامته في سويسرا في بعثة هندسية (١٩٢٩ - ١٩٣١) يعمل في صمتٍ منذ خمسة وستين عامًا ، ومحرر مجلة البريد الإسلامي

وصاحب امتيازها ، والذي أسلم على يده أربعة آلاف من الأجانب ، منهم قسيس يعمل أستاذًا للأدب في جامعة الفاتيكان ، وقاضي جزيرة سان موريس ، والقائد الهولندي « كلنجر » الذي أسمى نفسه « محمد توفيق كلنجر » تيمنًا باسم صديقه الأستاذ محمد توفيق .

أصدر بداية مجلة اسمها « التقوى » وطبع من العدد الأول منها ألف نسخة ، ووزعها فانتشرت بحمد الله انتشارًا واسعًا ، وكان يكتب عليها - كما يكتب على مجلة « البريد الإسلامي » -: « اقرأها وأعطها لغيرك مشكورًا » . وواصل إصدار « التقوى » حتى سنة ١٩٣٥ .

ولَمَّا رشح في بعثة هندسية إلى سويسرا عام ١٩٢٩ ، يقول : « وهناك شعرت بحاجة الأوروبيين للحصول على فكرةٍ صحيحة وموضوعية عن الإسلام ، ومن ثم بدأ العمل لتبليغ الإسلام « دار تبليغ الإسلام » وهو اسم معنوي كنت أعمل من ورائه ولا زلت ، وكانت كل الرسائل والإعلانات التي أبعث بها إلى الصحف الأوروبية ، أو أنشرها من خلالها : باسم محمد توفيق محرر مجلة « التقوى » في القاهرة ، وكنت أتسلم كثيرًا من الرسائل على المنزل الذي كنت أسكن فيه ، وبالطبع كنت أرد عليها ، وفي كل مكانٍ كنت أتواجد فيه ، أجد كثيرًا من الأسئلة المتعلقة بالإسلام والمسلمين ، وكانت صورة الإسلام مشوهة من أعداء الإسلام والمستشرقين ، ومن حَسَنِي النية الذين يصدقون كل ما يقرءون فيعتقدون أن الإسلام بهذه الصورة ، وذات مرة قام أحد المبشرين واسمه روبلي أو دكتور روبلي ، مفتش التبشير في أسوان في ذلك الوقت ، وكان بصدد جمع تبرعات للمساعدة في خدمات المستشفى التبشيري في مصر ، ونشر في الصحف أنه سيلقي محاضرة عن مصر وفلسطين ، وحدد موعدها وحث الجمهور لحضورها ، وكان مكان المحاضرة في أحد المعابد الأوروبية وتصورت

وقتها أنه سيتعرض في محاضرته للإسلام ، وفعلًا تناول في حديثه أشياء كثيرة تمس الإسلام ، وتحدث في مواضيع كثيرة عن العرب وفلسطين ومصر ، وقد حمل الرجل صورًا معه إلى المحاضرة ، تسيء إلى الإسلام وإلى مصر أبلغ إساءة ، ومن الصور التي عرضها بالفانوس في هذا الوقت ، صورة جمل ، وسيدة تركب خلف الرجل في المكان المنحدر من مؤخرة الجمل تكاد تسقط ، ليوحي بهذا أن معاملة الرجل للمرأة في الإسلام سيئة . ثم قال : هل تتخيلون كيف يتم الزواج هناك ؟!- القول للدكتور روبلي - المرأة عند المسلمين تباع ، فهناك التي يشتريها الزوج عند الزواج بعشرةِ جنيهات[1] ، وأُخرى بعشرين ، وثالثة بخمسين ، كأنك تشتري عنزًا أو جاموسة ، يمكنك أن تشتري المرأة ، ويمكنك أن تتزوج ممن تعجبك بأي عدد تشاء - و لم يحدد الدكتور روبلي عدد النساء بأربع كما هو معروف !! .

وبعد هذا عرض د . روبلي صورة أُخرى لرجلين يمشيان ، أحدهما مغزله يغزل به وأمامه زوجه تحمل حملًا ثقيلًا من القمح ، قدره د . روبلي حسب الصورة بأنه أربع كيلات ، وقال للمشاهدين الذين يشاهدون الصورة : هل تعرفون كم تحمل هذه المرأة ؟ إنها تحمل ما يساوي أربع كيلات من القمح ، وبالرغم من ذلك يقول زوجها لصاحبه : سأطلقها بالرغم من تفانيها وتعبها في خدمته ، وبعد ذلك قال لهم : الآن سأعرض عليكم صورة لأكبر مستشفى رمدي في مصر في القاهرة ، وجاء بصورة ضريح السيدة نفيسة ، وتظهر فيه حلقات في جوانب الضريح ، وجاء بأناس تظهر عيونهم بصورة قبيحة جدًّا ، وقد وضعت عليها طبقاتٌ من الطين بشكل قبيح ، تتقزز منه العين ، وقال : هذه الطبيبة - السيدة نفيسة - من نسل النبي أُرسلت إلى مصر لتعمي المصريين !! وقال لهم : هل تعرفون كم عدد

---

(١) إشارة إلى المهر في الثلاثينيات من القرن العشرين .

العميان في مصر ؟ وأجاب : إنهم يمثلون (٣٠٪) ! وعندما انتهت المحاضرة قدم المحاضرون التبرعات لهذا المبشر ، ورغبت في أن أرد على د . روبلي ، غير أن لغتي الألمانية لم تكن تسعفني في هذه المهمة ، فقلت كلماتٍ قصيرة في نهاية المحاضرة ، واستمع إليها الحاضرون ؛ مؤداها أن لي تعليقًا قصيرًا ستقرءونه في الصحف ، وأثناء خروجي اعتذرت له عن الإسهام في تقديم التبرعات ، وعندما ذهبت إلى البيت قالت لي المرأة التي كنت أسكن عندها - غاضبةً - وقد حضرت : هل دينكم بهذا الشكل ؟ وهل الحياة في بلادكم على هذه الصورة القبيحة ؟! غير أني لم أنم تلك الليلة ، وجئت بجميع القواميس في محاولة مني لكتابة ردٍّ يصحح ما أثاره مفتش التبشير في محاضرته من أكاذيب ومغالطات ، وفي الصباح صححت لي هذه المرأة الرد المكتوب بلغةٍ ركيكة ، وبعثت بهذا الرد إلى الصحف ، وقد نسخت منه ثماني نسخ ، ونشرت الصحف الرد في صفحاتها الأولى ، وذكرت أنه لمحمد توفيق محرر مجلة « التقوى » بالقاهرة ، ومن هنا كانت الحاجة ماسة لتأسيس « دار تبليغ الإسلام » ؛ لتقوم بتقديم مفهوم صحيح عن الإسلام ، ولتساعد الأجانب الراغبين في معرفة الحقيقة فيما يتصل بالإسلام ، بلغاتهم الحية في مواجهة حملات التضليل والأكاذيب والتعصب »[1] .

والغريب أن المهندس محمد توفيق أثناء إقامته بالفيوم درس في مدرسة تبشيرية ، وغضب والده وطرده من البيت ، وأقام إقامة داخلية بهذه المدرسة ، واكتشف بفطرته أباطيل الإنجيل ، وكتب في ذلك ثلاث كراريس

(١) « رجل من أُمّة التوحيد أسلم على يده ٤٠٠٠ من الأجانب » لعبد اللطيف الجوهري ص٢٢ - ٢٥ . دار الصحوة للنشر .

مدرسية ، رد بها على مستر « جلوي » مفتش التبشير ، الذي لم يستطع الإجابة ، وما قال له إلا : إن الذي كتب هذا الكلام شيطان وليس أنت . وضاق ذرعًا بالمدرسة التبشيرية ، وعاد إلى أحضان أبويه بعد أن اطلع عمه - وكان ذا دينٍ - على ما كتبه ابن أخيه ردًّا على الإنجيل .

يقول الأستاذ عبد اللطيف الجوهري - مؤلف كتاب « رجل من أمة التوحيد أسلم على يده ٤٠٠٠ من الأجانب » - للمهندس محمد توفيق ، أثناء حواره معه الذي ذكره في كتابه ، وكان هذا الحوار سنة ١٤٠٧هـ الموافق يونية سنة ١٩٨٧ ، ونشر في مجلة « منار الإسلام » الظبيانية الغراء ص١٠٨ - ١١٣ : « ماذا عن رقم آخر بطاقة تزف للمسلمين بشرى ميلاد مسلم جديد . وما قصة إسلامه باختصار ؟ فقال الشيخ محمد توفيق : آخر بطاقة رقم (٣٣٣٤) وصاحبها هولندي ، جاء إلينا فأعطيته رسائلي ليقرأها ، ولكن لم أرَ منه الحماس الكافي لاعتناق الإسلام ، وفي مرة أُخرى زارني في صحبة صديق إنجليزي معه شديد التحمس إلى الإسلام ، فعندما رأى هذا الحماس لدى الإنجليزي ، عاد إليّ بعدما تفرغ لدراسة الإسلام ، وأقر بالشهادتين وكتب إقرارًا بالإسلام وأسلم »[1] .

كان الشيخ المهندس محمد توفيق يزاسل مثقفي العالم الذين يريدون فكرة صحيحة عن الإسلام ، ويتلقى آلاف الرسائل على صندوق بريده رقم (١١٢) في القاهرة من مختلف أنحاء العالم .

يقول رحمه الله : « إن اتجاهي لتبليغ الإسلام للأجانب ، دفعني إليه - بالإضافة إلى واجب التبليغ على كل مسلم - افتتان العرب والمسلمين بالأجانب ، فيما يعرف « بعقدة الخواجة » فأردت أن أتخذ من الأجانب

---

(١) رجل من أمة التوحيد ص٢٧ .

حقلًا للدعوة الإسلامية ، فإذا أسلم هؤلاء الأجانب ، لفت ذلك أنظارنا في بلاد العرب والمسلمين – مما يلفتنا – إلى عظمة ديننا وضرورة الالتجاء إليه والتشبث بهديه »(١) .

ويقول : « إنني في مجال تبليغ الدعوة للأجانب ، لا أترك الأجنبي الذي يراسلني بصدد دعوة الإسلام ، إلا بعد ما يعلن الشهادتين ، وفي العادة قد تطول المراسلة أو تقصر ، وأقصر مراسلة انتهت بإعلان إسلام أحد الأجانب من ألمانيا استمرت شهرين ، وأطولها استمرت سبعة عشر عامًا مع رجل من تشيكوسلوفاكيا ، ومع هذا الأخير الذي كانت تربطني به صداقة ، وكان يتردد على القاهرة ويتفضل بزيارتي ، وكان مصرًّا على التمسك بعقيدته ، بيد أنه جاءني ذات مرة ، بعد مرور سبعة عشر عامًا على صداقتنا ، وقال لي : إنني أحمل لك مفاجأة ، فقلت له : ما هي ؟ فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله »(٢) .

رحمه الله ، لقد تفرغ تفرغًا تامًّا لمراسلة الأجانب والرد على استفساراتهم طوال عمره المبارك الذي يناهز التسعين عامًا .

كتب إليه رجلٌ نصراني أجنبي : إن عمري ثمانون عامًا ، وقد دأبت منذ نعومة أظافري على التردد على الكنيسة، وإن ما قدمته من معلوماتٍ عن المسيح ، يفوق ما عرفت عنه في الكنيسة .

يراسل الشيخ محمد توفيق صيدليًّا كاثوليكيًّا يسكن في « بازل » على الحدود الفرنسية وزوجته ، مدة طويلة بعد طول جهدٍ معهما ، ويرسل إلى زوجة هذا الصيدلي ترجمة معاني القرآن الكريم ، وتستوقفها أشياء ، ويسافر

(١) رجل من أمة التوحيد ص٥٩ .

(٢) رجل من أمة التوحيد ص٥٩ – ٦٠ .

الشيخ إلى « بازل » ويصل بقطار الساعة الرابعة بعد الظهر ، وكانوا في انتظاره - الصيدلي وزوجه وأولاده - ولم يكونوا يعرفونه ، وكان قد وافاهم بمواصفاته ، وأنه طويل نحيف بنظارة ومعه كتاب لونه أحمر ، وكان قد حمله ليعرف به ، واهتدوا إلى معرفته ، وفور وصولهم إلى البيت ، قالت له زوجة الصيدلي : هل أنت متوضىء ؟ فقال لها : نعم ، فقالت : ونحن أيضًا متوضئون ، ثم طلبت منه أن يصلي بهم إمامًا ، فتأثر وبكى .

أم نقص حكاية الصبي الألماني ، الذي كان والده يراسل الشيخ في موضوع « الإسلام » ووصلت مراسلته إلى قناعته بالإسلام ، وكان الشيخ في مراسلته قد ذكر له أن أول من أسلم من الصبية علي بن أبي طالب ، ومن الرجال أبو بكر الصديق ، ومن النساء خديجة بنت خويلد ، وبعد ما أعلن الرجل إسلامه ، وبعث إلى الشيخ بإقرار الشهادة ، أرسل إليه الشيخ شهادة اعتناق الإسلام ، وعقب ذلك تلقى الشيخ رسالة من ابن الألماني الصبي وقال : أرجو أن ترسل لي الإقرار للتوقيع عليه ، وشهادةً باعتناق الإسلام مثل أبي ، فكتب إليه الشيخ يستمهله حتى يكبر ويزداد تعرفه على الإسلام ، فأرسل من فوره رسالةً ذات منطقٍ مفحم ، أقنع الشيخ وأثر فيه كثيرًا ، حيث قال في رسالته : « هل طلب محمد بن عبد الله من علي ابن أبي طالب أن يرجىء إسلامه حتى يكبر ؟! » فلم ير إلا أن يلبي طلبه فورًا ، ويرسل إليه الإقرار ليوقعه ، ثم الشهادة باعتناق الإسلام[١] .

يقول الأستاذ أنور الجندي عن المهندس محمد توفيق أحمد : « هذا رجل ليست له شهرة الأدباء ، ولكن له مكانة العاملين في مجال الفكر

(١) رجل من أُمّة التوحيد ص٨٥ .

الإسلامي والدعوة الإسلامية في صدقٍ وثبات ، وقد اختار مجالًا لا يكاد ينافسه فيه أحد ، وهو المحيط الخارجي ، وفي قلب أوروبا بالذات ، وأصدر مجلة « البريد الإسلامي » الزاهرة عام ١٩٤٣م ، وأنشأ « دار تبليغ الإسلام » قبل ذلك عام ١٩٢٩م ، بدأ عمله في سويسرا عن طريق الرسائل والإعلانات ، ففي كل محطةٍ من المحطات على طول الطريق من النمسا إلى زيورخ إلى باول ، تجد لوحًا تقول : « لقد علمت خطأ عن الإسلام ، إن كنت تريد أن تعرف الحقيقة ، فاكتب إلى فلان ، فإذا أرسلت إليه ، أرسل لك كتبًا صغيرة موجزة » وقال لي : أرسل لي خمسةً من أصدقائك ، ولا يلبث أن يرسل لهم بطاقاته ، وامتد عمله في النمسا والسويد والنرويج وفرنسا ، ونما هذا العمل الصامت الخالص لوجه الله ، وفي سبيل التعريف بالإسلام ، وتحرير مفاهيمه ، حتى كتب إلى مائة ألفٍ من البشر ، قال لهم كلمة التوحيد ، فكسب منهم أصدقاء ، وكسب منهم معتنقين ، ونشأ من خلال ذلك في هذه الأقطار مجتمعات إسلامية »[1].

يا سبحان خالق الهمم ... يرسل خطابات إلى مائة ألف شخص !! .

ويقول الصحفي المغربي الأستاذ عبد القادر الإدريسي عن الشيخ محمد توفيق في مقالة « الرجل المؤسسة » : « أسلم على يده أكثر من ثلاثة آلاف شخص ... هذا هو المدخل الرئيسي إلى عالم صاحبي ... التقيت به مرتين ، تفصل بينهما ثلاث عشرة سنة كاملة ، لم يتغير الرجل طوال هذه المدة ، بل أستطيع أن أقول : إن قوته وعزيمته تزدادان مضاءً مع توالي الأعوام ، الإشراق في عينيه يجذبك إليه بقوة ، رجل ليس كالرجال ، قمة من القمم

---

(١) رجل من أمة التوحيد ص١١١ - ١١٢ . نقلًا عن مقالة في مجلة « المنهل » الحجازية في رجب سنة ١٣٩٠ الموافق سبتمبر سنة ١٩٧٠ بعنوان « لقاء مع جيل الرواد المهندس محمد توفيق أحمد » .

الشامخة التي وهبت حياتها لله رب العالمين ... يحتفظ بمكتبه - الذي يشغل جناحًا من شقته المتواضعة - بملفاتٍ كاملةٍ عن الأشخاص الذين اهتدوا إلى دين الله على يده ، أصناف متعددة من البشر ، الصفة التي تجمعهم أنهم خارج الوطن الإسلامي ، والحكاية لها بداية جديرة بالتسجيل : رحل صاحبي إلى أوروبا في الثلاثينيات ، وأقام بإحدى المدن السويسرية ، حيث عمل في الهندسة الكهربائية ، وطالت إقامته في تلك الديار ، وأقام علاقات عديدة مع مختلف الطبقات ، مما أكسبه حسن السمعة وطيب الذكر ، وأخذ في الدعوة إلى الإسلام في الأوساط المسيحية ، ولقي عمله إقبالًا كبيرًا ، وفوجيء بتدفق لم يكن يتوقعه من شتى الأوساط ؛ المتعلمة والمثقفة والعادية ، فزاده ذلك إقبالًا على المضي في هذا الطريق ، ودخل الكنائس والمدارس والسجون والنوادي الليلية ، وأخذ ينفق على الدعوة من دخله الشخصي ، وهداه تفكيره إلى استئجار الأماكن العامة ، مثل دور السينما والنوادي وقاعات الاجتماعات ؛ لإلقاء المحاضرات وإدارة الندوات ، وفجأة وجد نفسه في عالمٍ لم يخطط له . كان في البداية يقدر أن المسألة لا تعدو أن تكون عملًا متواضعًا . يقصد به وجه الله لا أقل ولا أكثر ، فإذا به أمام نتائج باهرة وحركة واسعة وإقبالٍ لم يخطر على بال ، وإذا باسم الرجل يتردد في أكثر من جهة في أوروبا ، وإذا بالصحافة تكتب عنه ، وإذا برجال الكنيسة يتحركون لمعرفة السر وراء هذا النجاح ، فلما أيقنوا أن الرجل لا يدعمه أحد سوى الله ، كفوا عن المناوشة وسلموا أمرهم لله ، حتى إن بعض الرهبان والقساوسة أخذوا يترددون عليه في مقر إقامته بمدينة بادن (أرجاو) بسويسرا لمناقشته والأخذ عنه ، وكتب الله لهذا العمل المتواضع الخالص لوجهه الكريم ، أن يتسع ويمتد ويشع وينمو في اطراد ، وكان أن ارتفع المعدل الشهري للذين يُقبلون على الإسلام ، وبمرور الأعوام قفزوا إلى الألف الأُولى ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، وهذا كله

من فضل ربي الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا . اتخذ لنفسه شعارًا يلخصه في الجملة التالية : « الناس جميعًا أسرة واحدة ، ربها واحد ، ودينها واحد ، هو الإسلام الذي دعا إليه جميع رسل الله الكرام ، والسعيد الناجي من فهم القرآن ، وعمل على نشر تعاليمه التي تحقق المحبة والسلام بين بني الإنسان » . وهو يطبع هذا الشعار على الرسائل التي يوزعها مجانًا بسبع لغات على القارات الخمس . هذا الرجل تخطى عتبة الثمانين ولا يزال في فتوة وحيوية الشباب .

رجل يستحق التكريم ممن جعل الله تكريم الرجال على أيديهم .. لقد أسعدني أن ألتقي بالمهندس محمد توفيق بن أحمد سعد ، وهذا اسمه بالكامل . ألستم معي أن هذا الرجل يضاهي عمله عمل المؤسسات .. إنه بحق الرجل المؤسسة ، ولا عجب »[١] .

وتحت عنوان « معِ العاملين في صمت وبلا دعاية » كتب الأستاذ محمد الجندي : « يذكر المهندس توفيق أحمد ، أنه في الوقت الذي تحاصر فيه الصحافة الإسلامية وتخضع لأجهزةٍ متعددة من الرقابة ، فإن جمعية « شهود يهوه » تصدر مجلة تسمى « برج المراقبة » وتوزع منها عشرة ملايين نسخة ، وبتسع وسبعين لغة ولهجة في العالم ، بينما كل المجلات والصحف في العالم الإسلامي لا تتجاوز إصداراتها في مجموعها على مليون نسخة ، وفي عددٍ محدود من اللغات ، علمًا بأن جمعية « شهود يهوه » هي مؤسسة يهودية ترتدي ثوبًا نصرانيًا مزيفًا ، وتقوم على مبدأ خداع الجماهير المسيحية الساذجة ، وإدخال نبوءات التوراة المحرفة في النفوس ، والتي منها ما يبشر بعودة اليهود إلى فلسطين والتي تخدم الفكر الصهيوني . ودار تبليغ الإسلام

---

(١) مجلة «المسلمون» الدولية بلندن – العدد الصادر في ٢١ من رجب سنة ١٤٠٢/ الموافق ١٤ من مايو ١٩٨٢م .

تقوم على شخصٍ واحد ، هو « الساعي ومسئول العلاقات العامة والمحرر ورئيس التحرير ومسئول المراسلات والتمويل وغيرها » . وقد وصفته إحدى المجلات الإسلامية بأن هذا الجهد الكبير ، الذي يقوم به ، لا تستطيع مؤسساتٌ بكاملها عمله ، ورجحت جهده على جهد أحد المؤتمرات الإسلامية ، والتي أشرفت عليه مجموعة دولٍ في إحدى العواصم الأوروبية عام ١٩٧٦ ، وكان هذا المؤتمر يهتم بالتراث من خلال مخطوطاتٍ إسلامية ومجموعة محاضرات ، ورغم هذا لم يعلن أحدٌ إسلامه .

ويمنح المهندس توفيق أحمد شهادةً بإسلام من يرغب من الأوروبيين ، ولا يتم منح هذه الشهادة إلّا بعد إجراء الاختبارات الدقيقة حول الدوافع من اعتناق دين الإسلام ، ويكتب في الشهادة أي خروج على تعاليم الإسلام يلغيها »[1] .

« اقرأها وأعطها لغيرك مشكورًا ، ولا تحتكرها فتأثم » . كتبت هذه العبارة على مجلة البريد الإسلامي ... فرحم الله الرجل الأُمَّة المؤسسة ... عالي الهمة ... الشيخ الداعية المهندس محمد توفيق ، الذي أسلم على يديه أربعة آلاف شخص ، وكتب إلى مائة ألف شخص يدعوهم إلى الإسلام ... هذه هي الأُسوة والقدوة .

الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني القرشي الهندي ، وجهوده في مقاومة التنصير ، وكتابه « إظهار الحق » :

وحين نتكلم عن التنصير في الهند ، الذي مهد له الاستعمار الانجليزي ، وتحويل المساجد إلى كنائس ، وبناء ألف مدرسة تبشيرية كنسية يدرس

---

(١) مجلة « الهدى » الخليجية – العدد الصادر في يوم الجمعة ١٤ من ذي الحجة سنة ١٤٠٥هـ .

فيها خمسة وستون ألف طالب ، ويتبع للكنائس معاهد متخصصة وكليات في « هوجلي » و « كلكتا » و « لاهور » و « غازي يور » و « عليكرة » تدار بأموال الوقف الإسلامي ... نتكلم عن المنصر هنري مارتين ، الذي وضع أساسًا قويًا للتنصير بترجمة الإنجيل إلى الفارسية والأردية ... نأتي إلى خاتمة المطاف إلى المستشرق الأمريكي الكاثوليكي د . فندر ، والذي تحول إلى البروتستانتية وأرسلته كنيسة إنجلترا رئيسا للمنصرين في الهند .

تزعم فندر الحملة التنصيرية داخل الهند بإلقاء المواعظ والخطب في الاجتماعات العامة والمآتم والأفراح الإسلامية والهندوسية ، والتهجم على العقائد غير النصرانية ، والطعن في الإسلام ، والتشكيك في القرآن الكريم وفي رسول الإسلام ﷺ ، وتحدي علماء المسلمين علنًا .

وكان يوجه المنصرين إلى مختلف المديريات الهندية ، ويدربهم على إلقاء الخطب والمحاضرات . وألف عدة كتب للدعوة للنصرانية ، أهمها وأخطرها « ميزان الحق » ، بل هو أخطر كتب المنصرين على الإطلاق ، وتلقى المنصرون والقساوسة هذا الكتاب بالقبول والتقدير ، لشموله جميع الشبه والافتراءات ، وكل ما يمكن أن يعترض به المنصرون والمستشرقون على دين الإسلام ، بالإضافة ... لشموله جميع أوجه الرد والدفاع عن العقائد النصرانية ، ونفدت له ثلاث طبعات متتالية في الهند بالإنجليزية والفارسية والأردية ، وترجم فيما بعد للتركية والعربية . وهذا الكتاب هو الينبوع الذي منه يستقي المبشرون مطاعنهم في الإسلام ، ويعد صاحبه به أخطر منصر دخل القارة الهندية . وقد عد م . هوري زعزعة فندر لعقيدة المسلمين في الهند بترجمته كتابه « ميزان الحق » إلى اللغتين الفارسية والأردية ، أعظم من عمل القس هنري مارتين بترجمته الإنجيل للفارسية والأردية ، كما ورد في كتاب الغارة على العالم الإسلامي

(ص٣١ - ٣٢) ، وقد عد إبراهيم خليل أحمد - القسيس المصري الذي أسلم - في كتابه الاستشراق والتبشير (ص٦٤ ، ٦٢) أخطر أربعة كتب للمنصرين ، **وجعل أولها وأكثرها خطورة كتاب « ميزان الحق »** .

وكان لهذا الكتاب ردود فعل عنيفة ، حصلت عند المسلمين إثر صدور هذا الكتاب ؛ لانتشاره السريع ، وسكوت كثير من العلماء عن الرد عليه فترةً من الزمن ، بحيث خيف على ضعاف النفوس من الردة .

بل إن رام شندر الهندوسي الذي كان صديقًا لفندر وللشيخ رحمت الله ، وكان محبًّا لفندر وكتبه ، تجرأ أن يطلب من الشيخ رحمت الله - وهو أستاذ الهند بلا منازع في الرد على النصارى - زيارة فندر لعله يهتدي إلى النصرانية !!

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في مجلة البعث الإسلامي عدد ٩ سنة ١٣٩٩هـ ص٥٥ : « وقد استفحل أمر فندر ورأى أن الجو قد خلا له ، فازداد جراءةً وتحديًا ، ورأى الشيخ رحمت الله أنه لا سبيل إلى الحد من نشاط هؤلاء القسوس ، وفي مقدمتهم وعلى رأسهم القس فندر ، وإعادة الثقة إلى نفوس المسلمين إلا مناظرة فندر في مجمع حافل ، يحضره المسلمون والمواطنون والحكام الأوروبيون والنصارى والمنصرون ، وكان فندر كثير الإدلال بكتابه ميزان الحق ، فخورًا بتبجحاته ، ويرى أنه ليس من السهل معارضته ونقضه من علماء المسلمين .

كل هذه الأسباب مجتمعةً ، جعلت الحاجة ماسة للرد على هذا القسيس ، مما حفز الشيخ رحمت الله للدعوة إلى مناظرته علنًا حتى يعريه ، ويفقده كل هذا الأثر في الأوساط الهندية .

فأرسل الشيخ رحمت الله تسع رسائل إلى الدكتور القسيس فندر لترتيب أمور المناظرة العلنية بينهما ، بدأت المراسلات بتاريخ ٢٣ آذار ،

وانتهت في ٨ نيسان سنة ١٨٥٤ ، ويظهر منها أن الشيخ رحمت الله قد أشرب قلبه حب المناظرة ، وكان يخشى عدم قبول فندر للمناظرة العلنية ، فقد كانت رسائل فندر إليه تحوي شروطًا صعبة لتثبيط همته ، فقبلها ، وتم الاتفاق بينهما على أن تكون المناظرة في خمسة موضوعات ، هي : النسخ ، والتحريف ، وأُلوهية المسيح والتثليث ، وإعجاز القرآن ، ونبوة محمد ﷺ ، وأن تكون المناظرة يومي الإثنين والثلاثاء ١١ ، ١٢ رجب سنة ١٢٧٠هـ و١١ نيسان سنة ١٨٥٤م في موضوعي النسخ ، والتحريف ، ومكان المناظرة في خان عبد المسيح الذي كان مدرسة في السابق ، وأن يكون القسيس فزنج مساعدًا للقسيس فندر ، وأن يكون الدكتور محمد وزير خان أبادي مساعدًا للشيخ رحمت الله ، وكان محمد وزير خان قد درس الطب في لندن وتخرج عام ١٨٣٢م فأتقن اللغتين الإنجليزية واليونانية ، واطلع على المسيحية في مصادرها الأصلية ، وعند عودته إلى الهند أحضر معه عددًا من الكتب الأصلية عن النصرانية وأقوال علمائها المحققين .

وتم انعقاد مجلس المناظرة العام في اليوم الأول ١١ رجب في تمام الساعة السادسة والنصف صباحًا ، في حي عبد المسيح ببلدة أكبر أباد ، وقد توافد الناس لحضور المناظرة من المسلمين والمسيحيين والوثنيين ، وكان على رأس الحضور أُمراء المسلمين والهندوس وحكام الإنجليز وأعيان البلدة والوجهاء وكبار الموظفين المدنيين والعسكريين ، كما حضرها القضاة والعلماء المسلمون والقساوسة والمنصرون ومراسلو الصحف ، وقد زاد عدد الحضور في هذا اليوم على خمسمائة نفس ، وتناقل الناس خبر المناظرة ، فزاد عدد الحضور في اليوم الثاني على ألف نسمة من جميع الأطراف .

وقد أسفرت هذه المناظرة الكبرى عن :

تعرية فندر وكتاباته :

فقد استطاع الشيخ رحمت الله بفضل الله في هذه المناظرة أن يظهر فندر للناس على حقيقته ، وتعرية كتاباته التي ملئت تبجحًا وتحدِّيًا ، فأظهر تناقضه في مواضع عديدة من كتبه ، وأنه كان يكتب بغير علم ، وقد تراجع فندر عن كتاباتٍ كتبها ، ويكفي انتصارًا للشيخ ، أنه أظهر للحاضرين ضآلة علم فندر ، وتهربه عن الجواب بطرق شتى .

اعتراف القسيس فندر العلني وصاحبه بوقوع النسخ والتحريف في كتب العهدين : بسبعة مواضع أصلية ، منها أكبر شاهدٍ لهم التثليث ، وهو ما في رسالة يوحنا الأولى ٥/٧ - ٨ ، من أن الذين يشهدون في السماء ثلاثة ، وهم واحد .

كما اعترفا بوجود أربعين ألف موضع سمياها سهو الكاتب أو اختلاف العبارة ، مع عدم القدرة على تعيين الصادقة جزمًا ، وقدما القول بأن اختلافات العبارة أربعون ألفًا ، على القول القائل بأنها مائة ألف وخمسون ألفا ، وهي ما يطلق المسلمون عليه اسم التحريف النافي لبقاء إلهامية كتب العهدين .

فلما ظهرت الغلبة لرحمت الله في مسألتي النسخ والتحريف ، ورأى ذلك صاحب الميزان « فندر » ، سد باب المناظرة ، ووقع في عرض الشيخ ونفسه ، ولعل القسيس « فندر » خشي أن يظهر المزيد من مثالب كتاباته ، وخاصة مسألتي الألوهية والنبوة ، بل لعله خشي أن يهتدي إلى الله وإلى الدين الحق ، بعد أن يثبت له الشيخ بطلان عقيدة ألوهية المسيح وثبوت نبوة محمد ﷺ ، على ما كان مشروطًا من دخول المغلوب في دين الغالب منهما .

وبعد هزيمة فندر في المناظرة ، وجره العار الكبير والخزي على الكنيسة ، لم يستطع البقاء في الهند ، وسافر إلى ألمانيا وسويسرا وبريطانيا ،

ثم اختارته الكنيسة منصرًا في مقر الخلافة الإسلامية في القسطنطينية فسافر إليها سنة ١٨٥٨م .

وقد اتصل فندر بالسلطان عبد العزيزَ خان ، وزور أخبار المناظرة ، وزعم أن الغلبة فيها كانت له ، ثم دعا مسلمي تركيا إلى الاقتداء بإخوانهم مسلمي الهند ، حيث زعم أنهم تحولوا إلى النصرانية ، وأن المساجدْ أصبحت كنائس ، وأخذ يتجول في أرجاء تركيا يشيع أخبار هذه المناظرة بطريقته الخاصة ، معتمدًا على الكذب وتزوير الحقائق ؛ لرفع مكانته وستر فضائحه .

ولكن السلطان عبد العزيز خان أُصيب بغمٍّ شديد لسماعه أخبار فندر ، وخشي أن تؤثر هذه الإشاعات على أبناء المسلمين ، وقد علم من الحجاج الأتراك أن الشيخ رحمت الله موجود في مكة المكرمة - بعد مصادرة الإنجليز لأمواله ، وجعلوا مكافأة ألف روبية لمن يدلهم على الشيخ رحمت الله ، وحظروا بيع كتبه وطبعها ، فاضطر للهجرة متخفِّيًا حتى وصل إلى مكة سنة ١٨٦٢م - فعجل السلطان عبد العزيز بالأمر إلى أمير مكة الشريف عبد الله بن عون ، بإرسال الشيخ رحمت الله إلى دار الخلافة ؛ ليناظر فندر في تركيا .

ولما حل الشيخ ضيفًا رسميًا في قصر الخلافة ، وسمع فندر بذلك فر هاربًا من تركيا .

وقد أوعز السلطان العثماني بترحيل المنصرين عن تركيا ، وحظر نشاطهم ، ومصادرة كتبهم ومنع انتشارها .

ولمَّا سمع السلطان عبد العزيز العلماء والوزراء وكبار رجال الدولة ، طلب من الشيخ أن يقص خبر المناظرة ، فلما استبان للسلطان طول باع الشيخ في هذه الموضوعات ، وتمكنه منها ، طلب منه تأليف كتاب باللغة

العربية يضم مسائل المناظرة الخمس ، فعقد الشيخ العزم على تأليف كتاب يكون سدًّا منيعًا في وجه المنصرين ، فألف كتابه « إظهار الحق » ليكون مرجعًا لطلاب العلم والباحثين عن الحق والمتخصِّصين في هذا الفن .

ولو كان فندر يعلم أن مجيئه إلى تركيا وكذبه على السلطان عبد العزيز خان ، وتزويره أخبار المناظرة ، سيكون سببًا في تأليف هذا الكتاب ، لفضل البقاء في بلاده ، أو قطع لسانه ، كي لا يخرج هذا السفر الجليل إلى عالم الوجود ، فأي دارسٍ لعلم مقارنة الأديان والرد على العقائد الباطلة ، وأي طالب للرد على المنصرين والمستشرقين ، وأي باحث عن الحق بخصوص كتب أهل الكتاب وعقائدهم ، ولا يطلع على « إظهار الحق » ، يكون قد فاته من هذا العالم زبدته ، ولن ينال مادته في أي كتاب آخر .

فهو كتاب في فنه آية ، وليس وراءه لمبتغي الزيادة غاية .

أظهرت أنواره أسراره ... كم جلتْ أقمارُه ليلَ ارتيابْ
نِعْم مبناه رياضٌ أثمرتْ ... دُرَّ معناه لمن يدري الخطابْ
كلّ غاوٍ لو رآه مُنصفًا ... من ظلام الكفر بالإيمان طابْ

وقد طبع الكتاب أكثر من عشر طبعات بالعربية ، وأمر السلطان العثماني عبد الحميد خان بترجمته وطباعته وتوزيعه في العالم الإسلامي ، وترجم إلى تسع لغاتٍ أجنبية ، منها : الألمانية والفرنسية والإنجليزية ، وترجم إلى التركية . وغاظ النصارى صدور هذا الكتاب ، فأخذوا يشترون الكتاب من الأسواق بجميع ترجماته وطبعاته ، ويجمعونها ثم يتلفونها بالحرق ، قاصدين إعدام وجوده من الأسواق العالمية ، ومنع وصوله إلى أيدي القراء عامة والنصارى خاصة ، وقد علقت صحيفة اللندن تايمز على هذه العملية الحاقدة بقولها : « لو دام الناس يقرءون هذا الكتاب لوقف تقدم المسيحية في العالم » .

وكيف لا والشيخ أعلم بكتب النصارى واليهود منهم ، فالشيخ درس كتب العهدين دراسةً نقديةً تحليلية عدة مرات ، ودرس كتب القدماء والمحدثين من علماء المسلمين واليهود والنصارى ، حتى أصبح عالمًا بجميع طرق النقد ، وكان مجموع طبعات كتب العهدين التي رجع إليها الشيخ في مؤلفه اثنتين وثلاثين طبعة ، بأربع لغات منها (١٣) بالعربية ، و (٨) بالفارسية ، و (٦) باللغات الهندية و (٥) بالإنجليزية .

هذا بالإضافة إلى ثمانية وخمسين مصدرًا أساسيًّا من التواريخ والتفاسير التي كتبها العلماء المحققون من أهل اليهودية والنصرانية . هذا بالإضافة إلى كتب التفسير والتاريخ الإسلامية لعلماء السنة »[١].

فلله همة هذا السهم القرشي العثماني الصائب ، ورحم الله بدر شيوخ الهند وشهابها الثاقب .

الداعية عالي الهمة أحمد ديدات :

الذي زلزل أركان التنصير في جنوب أفريقيا ، وناظر زعماءهم في أمريكا ، وتحدى البابا ودعاه إلى مناظرة علنية ، فما استطاع أن يجيبه إلى طلبه .

يقول هذا الداعية الذي يجوب القارات شرقًا وغربًا رادًّا على افتراءات اليهود والنصارى مزلزلًا لعهديهم ، يقول ديدات في خاتمة كتابه « هل الكتاب المقدس كلام الله » :

« ولا بد أن القارىء إذا كان ذا ذهنٍ متفتح ، أن يكون قد اقتنع الآن أن الكتاب المقدس ليس كما يدعي أتباعه من النصارى ، وخلال أربعين سنة

---

(١) مقدمة كتاب « إظهار الحق » للشيخ الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي ، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الطبعة الثانية .

يسألني الناس ؛ كيف لي بكل هذا العلم بالنصرانية وكتابها ، وبصراحة فخبرتي باليهوديَة والنصرانية ليست من اختياري ، بل قد أُرغمت أن أكون هكذا .

عندما كنت أشتغل مساعد بائعٍ عام ١٩٣٩ بجانب معهد لتخريج الوعاظ ، كنت وأصدقائي هدفًا دائمًا لخريجي هذا المعهد ، فلم يكن يمر يوم لا يضايقنا فيه هؤلاء بإهاناتهم للإسلام ونبي القرآن ، وقد كنت شابًّا حساسًا في العشرين من عمري ، فكنت أقضي ليالي عديدة ساهرًا أبكي ، لضعفي وعدم قدرتي على الدفاع عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو الذي أُرسل رحمة للعالمين ، وقررت دراسة القرآن والكتاب المقدس والكتب التي تتحدث عنهما ؛ واكتشافي لكتاب « إظهار الحق » كان أول خطوة في تغيير مجرى حياتي ، وبعد فترة كانت لدي القدرة على أن أدعو أولئك الوعاظ للمناقشة ، وأحرجهم بالحقائق المعروضة ، مما اضطرهم لاحترام الإسلام ونبيه » .

بائع الملح الهندي أحمد حسين ديدات الذي عاش في جنوب إفريقيا ، **الذي أصبح يجادل آباء الكنائس وعلماء اللاهوت وزعماء التنصير.**

هذا الرجل الذي يدعو إلى الله عز وجل عن طريق المحاضرات واللقاءات في كل مدينة يذهب إليها ، وفي كل جامعةٍ يزورها ، وقد ألقى محاضراتٍ في بريطانيا، أيرلندة، أمريكا، كندا، هونج كونج، سنغافورة، الهند ، زيمبابوي ، موريتانيا ، ملاوي ، أبو ظبي ، السعودية ، وأعظم تجمع استمع له أكثر من ٣٠ ألف مستمع في جرين بوينت في مقاطعة الكاب .

هذا الرجل الذي تناظر مع اثنين وثلاثين قسيسًا في أماكن مختلفة من العالم ، وأشهرها في نظره المناظرة التي كانت في قاعة الألبرت هول في لندن ، وقد حضرها جَمْعٌ غفير من الناس بمختلف الأديان والطوائف .

الداعية عالي الهمة الذي أقنع أحد رجال الأعمال ، ممن يشغل وظيفةً في مركز الدعوة الإسلامي في مدراس ، بإنشاء معهدٍ للدعاة ، وبدأ ديدات في تدريب الدعاة على طول الساحل الجنوبي هناك ، واستمر العمل في هذا المعهد لمدة عشر سنوات متصلة ، وخرج جيلًا من الدعاة لنشر الدعوة في الكرة الأرضية ؛ شرقها وغربها .

هذا الرجل الذي تحدى النصارى قائلًا : « لكل مسألة جدلية تقدمونها لي تأييدًا لدينكم ، سأقدم لكم عشرًا ضدها »[1] .

أسس مركز نشر الإسلام في عام ١٩٥٨ في جنوب إفريقيا ، يوزع ١٠٠,٠٠٠ من ترجمة معاني القرآن بالإنجليزية .

قال ديدات : « إن النبي ﷺ قال : « اليد العُليا خيرٌ من اليد السفلى » وهذا يعني أن الذي يعطي ، أرفع منزلةً من الذي يأخذ . إن مهمتنا هي أن نخرج لنبلّغ رسالة الله ، إننا في مكانةٍ أعلى من الناحية العقائدية » .

يقول ديدات : إذا امتلكنا أشعة الليزر فلن تجدينا عن الدعوة إلى الله شيئًا ؛ لأن الدين يظهر بالدعوة والمجاهدة .

ويقول : « ملايين الخطط وملايين المتفرغين المنصرين ، هدفهم تحويل العالم الإسلامي إلى النصرانية ونحن نغط في نومٍ عميق » .

ويقول : « علينا أن نتجاوز القضايا الهامشية في مناظرتنا للنصارى ، ونجادلهم في أصل الخلاف الذي هو قضية التوحيد » .

ويقول : « الأمة التي تملك هذه الأموال الطائلة التي بيد المسلمين ، ولا تنفقها في الدعوة ، أمةٌ تستحق الدمار ، وسيحاسبها الله يوم القيامة » .

---

(١) من الحوار الذي أجرته معه فايزة أمبا في جريدة « عرب نيوز » السعودية التي تصدر بالإنجليزية .

يقول ديدات : « كنت أسأل الجمهور الذين التقيت بهم : « هل سيظهر هذا الدين ؟ » ويقولون : نعم ، إنه الحق ، وإن الدين غالب على الجميع . **فأقول** : إذا كنتم تؤمنون بذلك ، فلماذا تستندون على ظهوركم دون أن تفعلوا شيئًا ، وتركبون السيارات الفاخرة ، وتنفقون الأموال الطائلة فيما لا يفيد ، وتقولون : الدين غالب ، دون العمل له ؟!! » .

ويقول : « شرط اللقاء والتحدث مع النصارى : التحدث عن العبودية لله وحده ، فالحديث عن التوحيد شرط التناظر مع النصارى » .

« يسرق النصارى أطفالنا ، ففي ليستر بريطانيا وضعوا خطة بميزانيةٍ تقدر بملايين الدولارات لتنصير الفولانيين في نيجيريا » .

« الآن يتفرغ لنا المنصرون بالملايين ، حيث يتوزعون حول العالم لتنصير المسلمين ، وهم يقرعون أبوابنا في بلادنا ، فقد تنصر (١٥) مليون أندونيسي ، وهم يفخرون - الآن - بأنهم استطاعوا تنصير الباكستانيين والبنغاليين الآن أكثر من أيام الاستعمار البريطاني هناك ، وهناك الآن مئات الآلاف متفرغون للتنصير في إفريقية »[1] .

يا أيها الموحِّدون ، يا ورثة خير النبيين وأعلاهم همة : « إن الإسلام لا بواكي له » .

يقول ديدات : « هناك مجموعة صغيرة من النصارى قد طبعوا أكثر من (٨٤) مليون نسخة من كتابٍ واحد ، بأكثر من (٩٥) لغة مختلفة ، ويطبعون (١٠٢) مليون نسخة من مجلة شهرية بأكثر من (١٠٢) لغة ، ويصدرون من مجلةٍ أُخرى تسمى اليقظة (٨,٩) مليون نسخة في الشهر ، بأكثر من (٥٤) لغة . وميزانية الرجل « سويجارت » مليون دولار يوميًّا ،

(١) من كتاب « أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن » - كتاب المختار الإسلامي .

ونحن المسلمين بكل دخلنا من البترودولار ، لا نستطيع أن ننفق مليون دولار للدعوة في السنة الواحدة .

النصارى أصبحوا يجرفون المسلمين في كافة أنحاء العالم ، ولكن ليس هناك من يبكي لهذه النتيجة ، بينما نرى النصارى يندفعون على نطاق واحدٍ لنشر دينهم ، والتضحية بحياة الترف والبذخ ، والعيش في أدغال إفريقية والصحاري الحارقة لنشر دينهم .

فالأيرلنديون - مثلًا ، وهم من الفقراء في بريطانيا مقارنةً بالإنجليز - يبعثون آلاف الرجال والنساء لخدمة المسيح عليه السلام - كما يزعمون - في العالم ، وفي الكنيسة الكاثوليكية والرومانية ، ترى الكثير من القساوسة والراهبات الأيرلنديات ، لماذا ؟! لأنهم يربون من الصغر على التضحية في سبيل المسيح - عليه السلام - ومن أجله .

أما نحن ، فصحيح أنهم يربوننا بالصلاة وتربية اللحية ، وهذا جميل ، ولكنه جزء ، فقلما تسمع على المنبر من يحمسك ويشجعك على الانطلاق والدعوة إلى الله في بقاع العالم . كلهم يحدثونك عن الصلاة والزكاة ... إلخ ، ولكن قلما يكون الحديث لنشر الدين ... أين الجهاد؟ »[1].

وصدق الداعية ديدات التي تمتزج الدعوة بدمه ولحمه .

في مدينة ملكال في جنوب السودان ، تأتي المبشرة من بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا ، أُوتيت الواحدة منهن قدرًا من الجمال يؤهلها لحياة الترقي في أرقى المدن رفاهية ... تأتي المبشرة طبيبة أو غيرها تعيش في القطاطي .. الواحدة منهن خص من البوص المطين ، تعيش الواحدة منهن على طعام

---

(١) أحمد ديدات من كتاب المختار الإسلامي - نقلًا عن مجلة الإصلاح الخليجية ، بقلم الأستاذ صفوت منصور .

الويكا - البامية المجففة - وتشرب من النهر مباشرة ، فليس هناك صنابير للمياه ... ترعى أطفال السودانيات ، وتشرف على علاج الأطفال والإشراف على تغذيتهن ، في بيئاتٍ لا يرضى أن يعيش فيها السودانيون أنفسهم ، وتصبر الواحدة العام الطويل حتى تدعو إلى النصرانية .

يقول ديدات : « إن المسلم يملك هذا الدين ... يملك البرهان عليه ، وعليه أن يصحو ، ويعلم أنه يملك « جرافة » منحها الله إياه ، تحطم كل الصخور - صخور الأصنام والجاهلية - هي هذا الدين ، فعليه استخدامها لنيل العزة ، ولكن تصرفاتنا تدل على ألّا عزة لنا في هذا العالم ، مع أن أصل العزة لله ولرسوله وللمؤمنين » .

ويقول ديدات : « من مائة ألف صحابيٍّ حضروا حجة الوداع ، لم يدفن في المدينة منهم إلا عشرة آلاف ، أين ذهب الباقون ؟ فهموا معاني الشهادة والتبليغ للرسالة ، وانطلقوا في الآفاق يمتطون خيولهم وجمالهم ، ينشرون دعوة الله ويبلغونها للعالمين ، أدركوا رسالتهم للعالم ، ولم يكتفوا بالجلوس في بيوتهم ومساجدهم يقيمون نصف الدين ويتركون النصف الآخر » .

إلى القابعين في منازلهم ... « يكفيكم أن تعرفوا أن عدد المنصرين (١٧) مليون شخص في جميع أنحاء العالم » .

ولعل من أهم مناظرات الداعية عالي الهمة أحمد ديدات ، مناظرته الشهيرة في أمريكا مع « المنصر الصليبي القس جيمي سويجارت ، صاحب الأحاديث التلفزيونية التي يشاهدها أكثر من مليوني شخص في الولايات المتحدة ، وتصل لأكثر من ١٤٠ بلدًا واستطاع أن يحصل على أكثر من ١٤٠ مليون دولار سنويًا ، ويعتبر من أكثر المنصرين نفوذًا في

العالم »[١] .

ولقد أفحمه - على مرأى من الآلاف - أحمد ديدات ، وفي المناظرة تطاول على رسول الله ﷺ ، فأخزاه الله بعدها مباشرة « بفضائح مع المومسات في نيو أورليانز وفنادقها ، وقد دفع أموالًا للمومسات ؛ للقيام بأعمال داعرة ، واعترف بخطيئته أمام ثمانية آلاف شخص من أتباع كنيسته ، ونقلت الاعتراف كل كاميرات التليفزيون عبر الولايات المتحدة ، وأجهش بالبكاء وهو يقدم اعترافاته يوم الأحد ٢/٢١ قائلًا : ليست لدي النية بتاتًا لنكران خطيئتي .. ولا أُسميها غلطة ... جريمة ... أنا أُسميها خطيئة ... كل من جلبت لهم الفضيحة والعار والإحراج ... السماح »[٢] .

وصدق الله : ﴿ **فأمَّا الزَّبَد فيذهب جُفاءً وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض** ﴾ [الرعد : ١٧].

ثم يعاود عالي الهمة ديدات الكرة مع رأس الأفعى بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني ، ويدعوه إلى « حوار في لقاء علني في ميدان القديس بطرس في روما مقر البابوية ، وفي الوقت والزمان المناسب لقداسته .

ولما لم يرد البابا على تلك الرسالة ، عاود الشيخ ديدات الكرة ، وأرسل له ثلاثة خطابات أُخرى وبرقية ، وهنا رد الفاتيكان مقترحًا إجراء مثل هذا الحوار في سكرتارية الفاتيكان وليس في مكان علني .

رد الشيخ ديدات على بابا الفاتيكان برسالةٍ جاء فيها : « يسعدنا أنكم ترتبون للقاء معنا ، ولكننا نتمسك بأن يكون مثل هذا اللقاء علنًا ، كما كان في خطابنا المفتوح إليكم ، والذي اقترحنا فيه مثل هذا اللقاء ، وذلك من أجل البلايين المؤمنة بالمسيحية والإسلام ، من أجل الحقيقة وإرضاء الرب ...

---

(١) ، (٢) من كتاب « أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن » كتاب المختار الإسلامي .

ومع هذا فيمكننا الالتقاء بكم حسب رغبتكم في السكرتارية ، ولكن هناك العديد من المسلمين في جنوب إفريقيا فقط ، والذين يصرون على حضور هذا اللقاء ، لذلك نرجو إفادتنا عن الإمكانيات المتاحة في سكرتارية الفاتيكان والخاصة بإسكان هؤلاء .

ونظرًا لوجود آلاف آخرين ممن يرغبون في حضور هذا الحوار ، فإننا نطلب أيضًا تصريحًا بتصوير اللقاء بأجهزة الفيديو ، حتى تصل مناقشتنا إلى الملايين الذين يودون الاستفادة من الحوار » .

« وبعد أكثر من شهرين من الانتظار تم إرسال برقيتين أخريين ؛ إحداهما إلى سكرتارية الفاتيكان ، والأُخرى إلى البابا ذاته . وبعد شهر آخر تم إرسال برقيتين أُخريين دون جدوى »[1] .

لله درُّك يا ديدات والله لا نقارن قلامة ظفره ببابا الفاتيكان .

ألم تَرَ أن السَّيْف ينقص قَدْرُه إذا قيل إن السيف أمْضى من العصا

وعلى الطريق سار غازي وأخَوَاهُ :

فبدعوةٍ من بعض قساوسة السودان ومبشريه ، وعلى رأسهم المبشر القسيس جيمس بخيت وتيخارمضان ومن معهما من القساوسة ، عقدت مناظرة استغرقت ستة أيام ... في كل يوم ثلاث ساعات متتالية ، في الفترة من ١٤٠١/١/٢٣ هـ إلى ١٤٠١/١/٢٩ هـ ، الموافق ١٩٨٠/١٢/١ م إلى ١٩٨٠/١٢/٧ ، بين ثلاثة من أعلام الفكر الإسلامي : الشيخ الدكتور محمد جميل غازي والأستاذ إبراهيم خليل أحمد - الذي كان من أخطر القساوسة المصريين وأسلم - واللواء مهندس أحمد عبد الوهاب علي الذي شغل بمقارنة الأديان منذ أكثر من خمسةٍ وعشرين عامًا ، وبين القساوسة السودانيين وعلى

---

(١) أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن كتاب المختار الإسلامي ص٥٥ - ٥٧ .

رأسهم المبشر القسيس جيمس بخيت ، وآمن جميع القساوسة والمبشرون المناظرون ، وأسلم بإسلامهم خمسمائة »[١] .

والله عز وجل لا يضيع جهد الداعية الدكتور محمد جميل عازي ... الذي ربما ظل في الدعوة بعيدًا عن أولاده خمسة شهور متوالية ، فرحمه الله وأجزل له المثوبة .

وهذا الداعية العظيم إبراهيم خليل أحمد ، الذي كان رأسًا من رؤوس التبشير والكفر في مصر والعالم ، فإذا هو بعد إسلامه يجوب البلاد دعوة إلى الله عز وجل ، يتحدث في جامعةِ أسيوط سنة ١٩٧٦ ، فيقف بعد محاضرته سبعة عشر من شباب جامعة أسيوط ليعلنوا إسلامهم بكل قوة وبكل جرأة .

يقول حفظه الله : « لقد شعرت أن الإسلام يفرض علي فرضا ، وهو أن أحمل رسالة التبليغ ، وأن أدعو برسالة لا إله إلا الله » .

فهلا اتعظ الغافلون من المسلمين بسير الرجال العماليق ... وهلا آمن المبشرون الدجالون الذين يصدق عليهم قول المسيح لليهود : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ؛ لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلًا واحدًا ، ومتى حصل تجعلونه ابنًا لجهنم أكثر منكم مضاعفًا » .

فعلى كل مسلم أن يضع الدعوة إلى الله نصب عينيه حتى يأتيه اليقين .

ذكر توماس . و . أرنولد في كتاب «الدعوة إلى الإسلام» ص٤٥٣-٤٥٤ أنه : « في إفريقية حكم البلجيكيون على زعيم عربي بالإعدام ، فقضى ساعاته الأخيرة وهو يحاول أن يدخل في الإسلام ذلك المبشر المسيحي ، الذي كان قد أرسل إليه ليزجي إليه التعزيات الدينية » .

---

(١) من كتاب « مناظرة بين الإسلام والنصرانية » طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

وذكر توماس ص٣١٩ أن الشيخ حسن علي كان من الدعاة المتحمسين جدًّا لنشر الإسلام ، فلما آن رحيله إلى الدار الآخرة بدأ يردد كلمات دعوية طالما قالها وهو يدعو الناس إلى الإسلام .

وعنه قال توماس . و . أرنولد : « وتجلت حماسته في نشر الدعوة ، حتى في آخر لحظةٍ من لحظات حياته ، حين سمعه بعض الناس خلسة وهو يقول على فراشِ الموت : اترك دينك وصر مسلمًا » فلما سئل عن ذلك ، قال : « إنه يتحدث إلى المسيحيين » .

وهذا فاروق الإسلام ، وهو على فراش الموت لا ينسى الدعوة إلى الإسلام والدخول في السلم كافة .

روى البخاري ، عن عمر بن ميمون قال : « جاء شابٌّ إلى عمر - رضي الله عنه - بعدما طعن ، وعرف الناس أنه ميت ، فقال رجل له : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ ، وقدم في الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ثم شهادة . قال : وددت أن ذلك كفافٌ ، لا علي ولا لي . فلما أدبر فإذا إزاره يمس الأرض ، فقال : « رُدّوا عليّ الغلام ، فقال : يا ابن أخي ، ارفع ثوبك فإنه أنْقَى لثوبك وأتْقَى لربِّك »[(1)].

هذا عمر ... متكامل الشخصية .. في أحرج اللحظات وهو على فراش الموت ينهى عن إسبال الإزار للرجال ، فأين من يقول بأن الحديث عن هذا في واقع المسلمين الأليم الآن من علامات ضيق الأفق ؟! .

ونختم بمسك الختام وصديق الأُمة الأكبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

فإن آخر ما قاله أبو بكر - رضي الله عنه - قبل انتقاله إلى رحمة الله

---

(١) صحيح البخاري - كتاب فضائل الصحابة ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان .

كما روى الطبري في تاريخه (٤١٤/٣) : « عَلَيّ بعمر رضي الله عنه » فجاءه فقال له : « اسمع يا عمر ما أقول لك ، ثم اعمل به . إني لأرجو أن أموت من يومي هذا - وذلك يوم الإثنين - فإن أنا متُّ فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، ولا تشغلنكم مصيبةٌ وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم » .

الله أكبر ... لله درك من صِدِّيقٍ كان من الدِّين سمعه وبصره .

وفي هـذا أُسوةٌ للدعاة الذين يريدون الآخـرة ويعملون لها ... ويعيشون بالإسلام وللإسلام إلى يوم لقاء ربِّهم ﴿ **يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلبٍ سليم** ﴾ [الشعراء : ٨٨ ، ٨٩] .

* * *